

الحرية

للنشر والتوزيع

٢٦١٥٦٤٦ـ ٥٧٤٥٦٧٩

٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

● روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

● حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ت: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١

● لايجوز نسخ للكتاب بأكمله أو جزء منه بأي

وسيلة من وسائل النسخ والاقتباس

● كل شخصيات هذه الرواية من نسج الخيال،

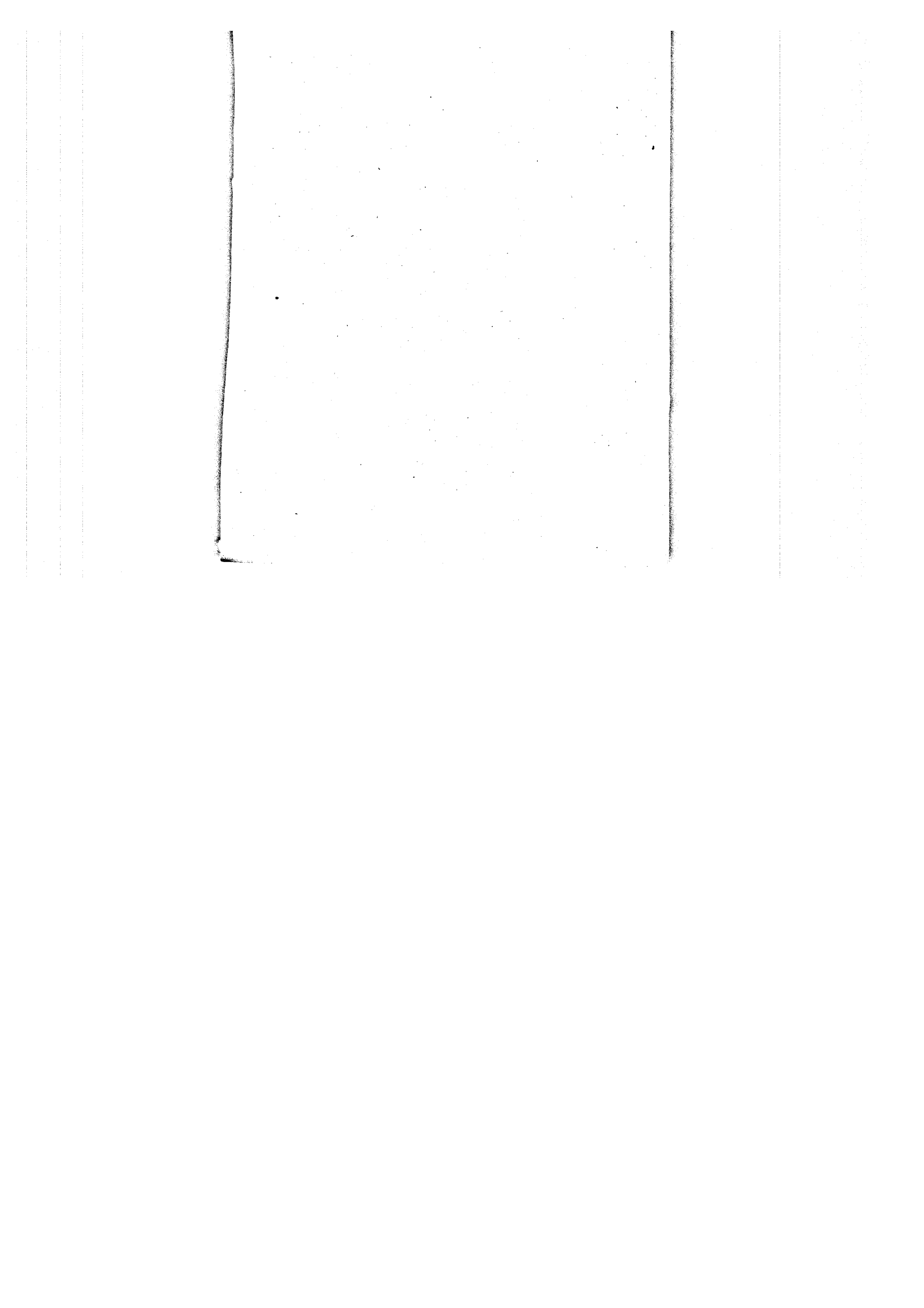
واي تشابه بين هذه الشخصيات وشخصيات

حقيقية تكون بمحض الصدفة

تقـــدم...

«روايـــات أحلامـــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا
بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..
الحب حيث الورود والرياحين..
حيـث الحيـاة..
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب
والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»
فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»
على أمواج الرومانسية.



إضراب عن الزواج

بيتر كان المهندس الشاب الذى أنتدبه مكتب الهندسة ليعطى نصيحته حول إعادة ترميم البناء الحجرى لإحدى كليات الجامعة.. ولم يكن تلميذاً.. ولكن الإنطباع الذى تركه كان دائماً ومؤلماً. فقد كان أول حب حقيقى فى حياة تريش.. مع أنها تعلمت وبالطريقة القاسية أنها ليست له.

منذ اللحظة الأولى التى رأى فيها تريش تسير نحو منزلها عبر الحدائق.. لاحقها.. وبما أنها معتادة أكثر على رفقة التلامذة من نفس مستوى سنها، فإن اهتمام بيتر فيها أرضى غرورها، ثم أرتفع بها عن الأرض بلسانها السلس وحذلقته الظاهرة. وهكذا لم تبدى سذاجتها أى دفاع. إلى أن كانت تلك الليلة فى المطعم،

عندما وصلت زوجته مع وصول القهوة. السيدة غضبت وأرتفع صوتها.. وكانت حامل. ولازالت تريش تشعر بالإنكماش لذكرى تلك الفضيحة.

عزائها الوحيد كان أن المطعم بعيداً عن البلدة، ولم يكن فيه من يعرفها ليشهد إذلالها، أو ليردد أخبار تلك القصة الخسيسة على مسمع عائلتها.

ومضت مدة طويلة قبل أن تتمكن تريش من النظر إلى الدنيا ثانية... والأن عل الأقل أصبحت قادرة. وتعرف تماماً ما تريد منها.

خططها لم تكن تشمل الرجال.. فهى تحس أنها لن تقدر أن تثق برجل أخر طالما هى حية. وفى المستقبل، كما قررت، ستبقى سيدة نفسها.. وتوجه طموحها نحو رؤية قدر ما تستطيع من العالم.

الطموح رهان أضمن من رهان الحب. فهو لا يؤلم، ويبقى العالم دائماً فى مكانه، ولا يختفى فى ضباب ضعيف من الأعذار، كما أختفى بيتر. ليتركها تلملم قطع قلبها المتحطم بأفضل ما يمكنها.

أفتتاح مؤسسة محلية، فى الوقت المناسب، كان خشبة خلاص لها ولطموحها بالسفر. ولدهشة رب عملها الجديد من قوة ما صرحت به من أنها حرة من الإلتزام بأى رجل لا حاضراً ولا مستقبلاً، بقولها المصمم:

أريد السفر. ولا يمكننى أن أحزم زوجاً معى فى الحقائب.

وهكذا رضى بأن يعطيها الوظيفة.

وقال لها شقيقها إدوارد ممازحاً.

وهل تظنى أن وسيلة التأمين هذه ستنجح؟ فأنا متزوج وجوليا وغلوريا بعيدتان، ولم يبقى لدى أمى أحد سواك لتمارس عليه موهبتها فى تدبير الزواج، وأراهن أنك فى نفس هذا الوقت من السنة القادمة ستأكلين من قالب حلوى زفافك،

ما من مجال أبداً.. وسوف تخسر الرهان.. فسأبقى فتاة عذباء عنيدة. وفى الوقت الذى ستستفيق فيه أمى من الصدمة، سأكون بعيدة عن متناولها.. فى بلد بعيد.

قد تنجين من يد أمك.. ولكن لا تتصورى أن بإمكانك النجاة من سهام «كيوبيد» فجمالك سيجذبه حتماً.

فضحكت لكلام زوجة أخيها وقالت:

لن يلحق بى لو تمكنت من السفر بسرعة، ولمكان بعيد.

وظيفتها كمرافقة للسواح.. ومراسلة فى مؤسسة «إدوارد إدواردز» أو أدى.. كما يحلو لرب عملها تسمية نفسه، مكنتها من القيام بالأمرين معاً.

عمل المؤسسة كان يشمل إقامة المعارض للأشياء الثمينة التى يجمعونها وكذلك جمع أشياء لها قيمة من مختلف أنحاء العالم. وكان أصحاب محلات المجوهرات الذائعى الشهرة فى العالم، وأصحاب محلات الحلى الفضية، وكل أصحاب المهن الفنية من هذا الطراز، بما فيهم الرسامون، يتنافسون لكسب رضا المؤسسة.

وهكذا وجدت تريش نفسها تستعد للسفر إلى أندونيسيا عند نهاية الأسبوع.

وكانت هذه أول رحلة طويلة لها. فحتى الآن اقتصرت

رحلاتها فى المؤسسة على أوروبا.. وكانت إسبانيا أبعد مكان وصلت إليه. ولم تصدق أنها محظوظة هكذا عندما استدعاها إدى إلى مكتبه فى أحد الأيام، بعد عدة أسابيع، وأعلن لها دون سابق تحضير:

ما أن تعودى من رحلتك القادمة حتى أكون قد جهزت أوراقك لتذهبى إلى جاكرتا.

جاكرتا؟

وشهقت دون أن تتمكن من إخفاء ذهولها.. فأكد لها إدى:

أجل جاكرتا. فقد آن لك أن تفردى جناحيك إلى البعيد.

إنها طريقته فى أن يقول لها أنه راضٍ عن الطريقة التى تنفذ بها عملها وتلقت تريش هذا التقييم، بهزة رأس سعيدة.

وما القصد إلى الرحلة؟

لقد طلب منا تنظيم معرض للأشغال اليدوية الأثرية.

ونقابة أصحاب هذه المهنة هى من سيرعى هذا المعرض، وستكون معظم المعروضات من الجواهر، والحلى الذهبية والفضية والسيراميك.

كلها من صنع محلى؟

لا.. فالعارضون سيتدفقون من كل أنحاء العالم. وستحضر المعروضات الثمينة من مصر والهند واليابان وروسيا ومن كل مكان يخطر ببالك. وستتولين الإشراف على منتوجات أندونيسيا بعد أن تتسلميهامن وكيلنا فى جاكرتا.

هل ستكون المعروضات ثقيلة أو كبيرة؟

لا يجب أن تكون هكذا، مع أن لوكيلنا هناك الخيار الأخير لما يريدإرساله. ولكن قيل لى أنها حلى ومجوهرات بمعظمها.. قطع صغيرة. وهكذا ستسافرين فى الطائرة.. لقد قيل لى أن بعض القطع كانت لسلاطين قدماء.. فاحذرى أن تضيع منك.

وابتسم ممازحاً، فضحكت وقالت:

لن أحلم أبداً أن أغفل عنها.. وأين سيقام المعرض؟

فى باريس.. ولكننى لم أقرر بعد فى أى مكان. ربما فى المعرض الوطنى قرب اللوفر.

وأحست تريش بتحفظ إدى، مع أنه أستخدم ذلك المكان أكثر من مرة من قبل، وهو متحمس له للتسهيلات التى يوفرها.

إقامة المعارض هنا يناسب أكثر. ولكن ليس لهذا المعرض. فنحن لن نفتحه للعامة. وستكون الدعوات عالمية وبناء لدعوة خاصة... ولذا فإن باريس مناسبة أكثر من لندن.

يبدو أنه سيكون هناك معروضات أكثر من الزوار.

بوجود مجموعة من النفائس يجب أن نكون متحفظين.. لدواعى الأمن. فالهدف منه الأسواق المختارة، والناس المتخصصون فقط.. مع بضع أثرياء عالميين من جامعى النفائس الخاصة ولهذا السبب أرغب فى أن يكون المعرض فى مكان يبرز قيمة المعروضات بأفضل طريقة.

إذهبى الآن إلى طبيب المؤسسة كى يلقحك اللقاحات



اللازمة.. سيلزمك، كما أعرف، أربعة لقاحات، وكلها تؤلم.

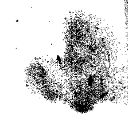
الألم.. وما نتج عنه.. كان يستحق.. فقد أستقبلت أندونيسياتريش بكل الألوان الرائعة لقوس قزح. والتقاها وكيل المؤسسة فى مطار جاكرتا. وسألها وهو يتسلم حقائبها.

هل كانت الرحلة مريحة؟

وقادها عبر مجموعة من الحمالين المحليين كلهم متشوقون لتخليصها من رسوم مزعومة.. هزة رأسه المبتسم أقنعهم بعدم ملاحقتها، فأداروا أهتمامهم إلى مسافرين آخرين.. ولحقت تريش بديلها إلى سيارته التى أوقفها خارج المطار. وساعدها فى الصعود إليها ووضع الحقائب فى المؤخرة وقال لها:

هل ترغبين فى وجبة طعام... أم أكلت شيئاً فى الطائرة؟

كانت الرحلة رائعة، وأكلت خلالها. شكراً لك. مع أن كوباً من الشاى قد ينعشنى.



فى هذه الحالة.. سأتجه رأساً إلى الفندق... وبإمكانك التحدث بعد أن تستقرى فى غرفتك.

حتى زحام السير فى لندن لا يقارن بالزحام هنا.. وما من شارع مهما كان اتساعه يمكن أن يوفر هذا المزيج من السيارات وعربات الجر المزركشة بكل الألوان، والجمال، والحمير تجر العربات المحملة، إضافة إلى عربات تجرها الدراجات النارية، والبعض منها يحمل أربعة أشخاص، وحدقت غير مصدقة بدراجة نارية، لا تحمل أصلاً سوى راكب واحد، وهى مختفية تحت حمل لا يصدق.

وما أن استدارت بهما السيارة عن الشارع الرئيسى إلى شارع جانبى حتى واجههما جموع لا يمكن اختراقها من الناس. مختلطة مع حيوانات من كل الأحجام والأوصاف. فشهقت تريش:

- عليك أن تعود.. فلن تتمكن من اختراق سد كهذا.

وتساءل مرافقها باقتضاب:

- ولماذا لا؟

وداس بقدمه على دواسة السرعة، ويده على «الزمور» للفت الإنتباه، وأكمل طريقه وهى تتعجب من أعصاب الرجل الباردة وراء المقود...

وصاحت بينما كان طفل على بعد سنتيمترات من مقدمة السيارة:

- إنتبه!

وحرك رفيقها المقود، فأخطأ الصبى بطول شعره ودفع تريش إلى التمسك بأى شىء لتأمن الوقوع عندما أعاد المقود إلى مكانه، لتجنب صدم بقرة تتجه إلى كومة من الفاكهة والخضار المرمية على رصيف.

وتمنت تريش لو تغمض عينيها.. ولكن الألوان البراقة خدرت إحساسها وأبقت جفنيها متسعان بالعجب.

عمامات براقة، معقودة ببراعة، وكأنها الرذاذ الحى بين ألوان أكثر إشراقاً لأثواب السارى التى تلوح فى الهواء وكأنها الفراشات الملونة، بينما لابساتها يتساومن مع البائعى على قارعة الطريق، غير مكترثات بالغبار

والحر الذى يهب، نحوهن. وكان قد أدى اعتذر منها سلفاً عن هذه اللحرارة.

إلتفافة سريعة فى أحد المنعطفات أوصلتهما إلى وقفة مؤقتة قرب محل بيع توابل، وتهادت رائحة البهارات عبر نافذة السيارة.. وتحول إعجاب تريش «همم.. كم الرائحة جميلة!» إلى صيحة اشمئزاز وأسرعت إلى إقفال الزجاج كى لا تدخل رائحة دخان السيارات إلى أنفها بعد أن تحرك السير. وبعد بضع دقائق أوصلهما الشارع الفرعى إلى شارع عام عريض تحيط الأشجار بجانبيه.. يناقض تماماً الزقاق الضيق المكتظ الذى تركاه خلفهما.

كذلك كان الفندق الفخم والحدائق الخاصة المحيطة به، حيث أوقف رفيقها السيارة أمامه، وهو يقول:

- ستكونين براحة تامة هنا.

وأخذت تدير نظرها فى الجناح الصغير الفخم الذى حجزه لها.

الآن.. ليس لديها الوقت لتسترخى وتتمتع.. فالوكيل

سيعود بعد أقل من ساعة ليأخذها إلى حيث تلقى نظرة على المعروضات التى أتت إلى هنا كى تأخذها معها.

وأنعشت نفسها بدوش بارد، وغيرت ملابسها، ثم جلست قرب عربة الشاى التى أرسلت إلى غرفتها، وشربت الشاى، وكانت تنتظر فى فناء الفندق عندما عاد مرافقها. وقال لها:

المكان ليس ببعيد، والطريق كلها رئيسية هذه المرة.. أعدك.

وكان عند كلمته، فبعد أقل من عشرين دقيقة.. أرشدها إلى ردهة مدخل بارد لبناء رسمى افترضت إنه مصرف.

تخمينها كان صحيحاً. والحراسة المشددة على الرواق المقنطر الذى يحوى النفائس دليل على قيمتها التى لا تقدر. وصاحت.

ـ إنها جميلة!

وأخذت تحدق بالقطع التى وضعت على قطعة مخمل

أسود لتتفحصها.. وتتعجب لدقة صنعها الفنية الرائعة. وقالت متسائلة:

– كـيف يكون الشـعـور لكون المرء غنى لدرجـة أن يستطيع أمتلاك مثل هذه الأشياء الرائعة؟

وجاءتها الإجابة فى لهجة مرافقها جافة ومتوترة:

– أنت وأنا من المستحيل أن نعرف.

قلادة مرهفة ناعمة مزخرفة بأحجار كريمة، وكل حجر كريم بحد ذاتة منقوش بجمال أخاذ. يحيط به من جانب واحد رسم مصغر رائع الجمال، موضوع على حاضن مذهب. وإلى جانبه الأخر مجموعة من العقود، والأقراط، الخـواتم والخـلاخل لكلا الرسـغين والكاحلين... كلهـا منقوش بروعة من الذهب والفضة، مزينة بالجوهر الذى يساوى فدية ملك.

وقال لها مرافقها:

– سوف نزودك بمرافق خاص لرحلة عودتك بالطبع.

بعض الزبائن يفضلون إرسال مرافقهم الخاص.. تبعاً

لقيمة المجوهرات.. والبعض الآخر يعتمد على التأمين المرتفع الثمن الذى يغطى أى شئ قد يحدث.

المجموعة التى لا تقدر بثمن، والتى أخذت تشع على المخمل الأسود فى وجه تريش، جعلتها تحمد الله على أن الزبون قداختار الطريقة الأولى لهذه المهمة الخاصة. ليس لأنها تشك فى كفاءة نفسها، بل لأن تدريب إدى لها قد علّمها أن تدرك المخاطر التى تواجه المراسل المنفرد الذى يحمل مجموعة ثمينة من الجواهر. ووجود مرافق سيقسم المخـــاطره على أثنين. وانتـــزعت نظرها بعــيـــداً عن المعروضات التى تصيب بالدوار، عندما تكلم مرافقها:

ـ لا يزال هناك قطع أخرى.. ليكتمل ما سيعرض.

ولفّ القماش المخملى الأسود بعناية ليخفى النار المشتعلة فيه. وأعاد اللفة الثمينة إلى صندوقها.

ـ ما أن تصل بقية النفائس حتى أكون قد جهزت الوثائق اللازمة لنقلها إلى بروكسل.

ـ دعنى أعلم متى تصل. وهكذا أستطيع حجز أول

مكان متوفر للعودة. سأبقى فى غرفتى فى الفندق غداً إلى أن تتصل بى.

ـ لا حاجة لك للبقاء فى الفندق.. فمن المؤسف أن تفوتك زيارة البلد ومناظره، بما أنك هنا.

وأحست برغبة عارمة للتفرج على معالم البلد، ولكنها ليست هنا فى رحلة أستجمام. فإدى يثق بمراسليه أن لا يهدروا الوقت فى رحلاتهم. وليس لديها النية لتخون تلك الثقة.. لذا أجابت بصرامة:

ـ لو حدث وكنت خارج الفندق، عندما تتصل بى.. فهذا سيعنى أننى سأخسر فرصة إيجاد مقعد للعودة إلى بروكسل غداً.

وابتسم الوجه الأسمر:

ـ لن تعودى قبل يومين أو ثلاثة، على الأقل. وسيكون بديك الكثير من الوقت كى تتعرفى على جاكرتا. حتى ولو وصلت المجوهرات الباقية... فلن يكون مرافقك مستعداً للرحيل قبل يوم الخميس على الأقل. واليوم هو السبت..

وسارعت تريش للقول:

ـ هذا يعنى خمسة أيام كاملة.

وأحست بالإمتنان لعدم تحديد إدى ليوم محدد للمعرض. ولو أنه فعل.. فستكون المعروضات التى عينت لتأتى بها هى الوحيدة الناقصة. وقالت:

ـ من المؤكد أن مرافقى، كائناً من يكون.. بإمكانه...

وهز مرافقها رأسه:

ـ إنه هانز ستانواى.. ولا بد أنك تعرفينه.

ـ أتعنى هانز ستانواى تاجر الأثريات؟ لست أعرفه شخصياً، بل سمعت عنه.

ومن لم يسمع عنه؟ ففى عالم الندرة والجمال، هانز ستانواى هو الملك... مجال عمله أبعد بكثير من مجال عمل كل جامعى التحف الأثرية. الكنوز التى تمر بين يديه هى القمة فى القمة التى لا تصدق والتى تجتذب هواة الجمع من أكبر أثرياء العالم... وهو لا يعتمد على أحد فى نقل نفائسه فهو رجل لا يعتمد سوى على نفسه.

المعروف عنه أنه مرجع خبرة وثقة فى مجال الأثريات الفضية والبورسلان. ويسافر عبر العالم بحثاً عن قطع نادرة ليأخذها إلى متجره الفاخر فى بروكسل.

ومع أن اسم هانز ستانواى التجارى يسحر.. فإن تريش لم تره من قبل، ولا حتى رأت صورة له فى جريدة أو مجلة. له سمعة بأنه يفضل العزلة والابتعاد عن الأضواء، ويكره العلنية، وبما أن عمل مراسلى إدى ينتهى بعد إيصال ما معهم إلى بين أيدى الزبائن، ولا يحضرون بأنفسهم أبداً إلى معرض. فهم بالتالى لا يعرفون سوى زبائنهم المباشرين.

ومن المهم لها أن تتعرف على تاجر الأثريات الشهير، وابتسمت لما تتوقعه من مرافقته لها. وإذا كان هو بنفسه من الأثريات فهى تشك فى أن تكون أكثر من مساعد لها.. من الزاوية الأمنية. وقالت لمرافقها:

- ألا يمكن له أن يحضر قبل يوم الخميس؟ إذا وصلت المعروضات قبل هذا الوقت.. أعنى؟ وإذا لم يكن فى البلاد الآن، فأنا مستعدة للسفر بمفردى.

ـ إنه هنا منذ بضعة أيام. لقد عاد من الهند. وأعتقد أنه كان هناك يتفاوض لشراء قطع ثمينة من البورسلان لزبون خاص. لقد قطع رحلته إلى هنا كى يزور صديقاً قديماً له من أيام الدراسة.

ـ من أيام الدراسة؟

هذه الكلمة ناسبت تماماً تصورها لعمره. وبجهد كبحت تزايد قلقها وقالت بإصرار:

ـ فى هذه الحالة، من المؤكد أن يكون جاهزاً حال أن تصل بقية المعروضات.. وتكون الوثائق جاهزة؟

ـ أوه.. لا..لا شئ سيقنع السيد هانز ستانواى بالسفر قبل يوم الخميس.. فهو سيحضر مباراة كريكت يوم الأربعاء.

ـ مباراةكريكت؟

وتساءلت هل سمعت ما قاله حقاً.. وكررت:

ـ مباراة كريكت؟

ـ صحيح. أنها مباراة ضخمة مخصصة لأعمال

خيرية، وكل اللاعبين المشهورين سيشتركون بها.

وأطلقت تريش نفسها باستهجان محسوب.. إذن هانز ستانواى هو واحد من السطحيين، المتعجرفين العجائز الذين يتوقعون أن يقف العالم كله لمجرد أنهم يرغبون فى رؤية، من بين كل الأشياء، مباراة كريكت...

وعبثاً حاولت إقناع مرافقها بأن تسافر لوحدها. فستانواى رفض أن يرافقها أحد وأصر على مرافقتها شخصياً عندما بحث الأمر معه فى وقت سابق، نظراً لطبيعة المعروضات التى لا تقدر بثمن.

ولكن ليس قبل يوم الخميس.

– تجولى فى المدينة.. وتمتعى بمناظرها وأنت هنا.

وبصعوبة أشارت إلى أن ما ترغب أن تراه حقاً هو السيد ستانواى..

برفقتها وهما يحملان المعروضات، ويركبان الطائرة المتجهة إلى بلچيكا.

وعملت تريش بنصيحة مرافقها فى اليوم التالى

وخرجت تحمل كتاب دليل، أعطاه لها موظف الفندق كى تحصل على أول نظرة لها فى جاكرتا. وهكذا صارت فى الشوارع الضيقة..

وزارت المعابد الأثرية والجوامع. وأذهلتها الشوارع المكتظة الصاخبة المليئة بالحياة والأسواق القديمة والأبنية المنقوشة بدقة بصور الناس والحيوانات من حقبة زمنية داثرة، مجمدة بالحجر فوق الجدران، تحدق دون ملل من مكانها المرتفع إلى الحياة المدنية الحديثة من تحتها.

واشترت منديل رأس حريرى متعدد الألوان لتحمى رأسها من أشعة الشمس الحارقة. ثم أضاعته بعد أن سرقته مجموعة من القرود تقف فوق سور حصن قديم.. وعادت وهى تحس بالجفاف من الحرارة وإرهاق يومها، لتستقبلها برودة المكيفات فى الفندق.

والتقاها وكيل المؤسسة فى الفناء

ـ هل تسمحين لى بدقيقة قبل أن تصعدى. هناك تأخير مفاجئ فى وصول بقية المعروضات. فقد تتأخر أكثر.. أوه إنتظرى دقيقة.. يبدو أن مكالمتى الهاتفية قد

وصلت.

ولحق بالخادم الذى يحمل اليافطة، وهو يشير لتريش أن تنتظر، فجلست متنهدة على مقعد قريب وأحست بالتعب، والالتصاق من التعرق... وتشوقت إلى دوش وصابون، ولتغيير ثيابها.

وشاهدت رجلاً يتقدم منها، ويبدا لها وكأنه خارج لتوه من صندوق ثياب جديدة، أذا جاز التعبير.. ونظرت تريش إليه نظرة ساخطة.. فهو على عكس ما هى عليه، بذلته الكتانية القماش البيضاء اللون تحمل شفرة سكين مستقيمة لا تظهر سوى على مقدم بنطلونه فقط، ولا على أى مكان أخر.

كانت البذلة مناسبة لجسده وكأنها القفاز. تحتوى على كتفيه العريضين وخصره النحيل بكامل التفصيل اليدوى الغالى الثمن. وتعطى تأثيراً رائعاً لشعر أحمر ذهبى يدل على طبيعة نارية ملتهبة تحت هذه اللهجة الباردة التى سألتها:

ـ هل هذا مقعد لأحد ما؟

وهزت تريش رأسها بعمق.. لماذا جاء ليجلس على نفس المقعد العريض الذى تجلس عليه؟ هناك العديد من المقاعد الفارغةفى البهو.

وتمنت لو يسرع زميلها بالرجوع وينهى مكالمته، لتذهب إلى غرفتها. وتمنت لو أنها جلست فى مقعد منفرد. بدل هذا المقعد الطويل. ورمقت الغريب بنظره معادية وهو يجلس فى الطرف الأخر للمقعد مما جعلها فى أتصال مباشر معه بنظراتهما.

عيناه بندقيتان، كما لاحظت، النظرة الغريبة فيهما تبدو وكأنها قطع من الجمر.. وتوقد الجمر ليصبح لهيباً، ولاحظت أنها كانت تحدق بهما، وبارتباك أنتزعت نظرها عنه، متظاهرة بأن صوتاً ما قد أجتذب أنتباهها، يذيع أخر أنباء مباريات الكريكت.

ـ هه.. كريكت

فقال الغريب بأدب:

ـ ألا تلاحقين أخبار هذه اللعبة؟

والتفتت تريش إليه، مندهشة. فهى لم تلاحظ أنها تكلمت بصوت مرتفع. وعندما لم ترد على الفور كرر بصبر:

ـ ألا تتابعين أخبار الكريكت؟

ـ لا. !

وتذكرت أنها فى بلد يُعد بلد لاعبى الكريكت الأول بعد موطن اللعبة الأصلى إنكلترا. فاختتمت كلمتها الوحيدة الحادة بالإنكار:

ـ ليس لى شئ ضد اللعبة.. ليس فى العادة على كل الأحوال. وفى الوقت الحاضر كم أود أن أرمى الكريكت فى صندوق القمامة!

وارتفعت زوايا شفتيه باستهجان وقال محتجاً:

ـ يبدو هذا التصرف لا يليق بلعبة كرة محترمة.

ـ ليست اللعبة التى تزعجنى.. بل الناس.

ـ اللاعبون فى هذا الموسم من الدرجة الأولى.

ـ لست أعنى اللاعبين.. فليس لى شئ ضدهم..

المتـفـرجـون فـقـط، أو على الأقل.. مـتـفـرج واحـد على الأخص.

السخط الذى بقى مضغوطاً فى داخلها طوال اليوم، يغلى فى الحرارة الزائدة، كان يجب أن يفور إلى الخارج فى وقت ما، وهذا ما حصل بسرعة، وقد أطلق له العنان مزاحه:

ـ هل تركك صديقك منتظرة كى يتفرج على مباراة؟

فحملقت به.. الرجل المتعجرف.. هل يفترض أنها، تأتى بالدرجة الثانية أمام اللعبة؟

ـ أنا لست هنا مع صديق. فالرجل الذى أنتظره هو عميل من المنتظر أن أقابله.

وتساءلت باضطراب لماذا تزعج نفسها بالشرح لهذا الغريب. ومع ذلك تابعت، حذرة أن لا تدخل فى التفاصيل التى قد تكشف عما فى نفسها:

ـ على أن أجلس هنا أنتظره.. وماذا يحدث؟ يقرر أنه لا يقدر أن يجئ قبل يوم الخميس.. لأنه يريد التفرج على

مباراة كريكت يوم الأربعاء. ذلك الجلف المتغطرس، يتوقع من العالم أن يتوقف بينما هو يتمتع بحبه للكريكت.. أمر لا يصدق..

– يمكنك أن تتفرجي على المدينة فيما أنت منتظرة. إنها مدينة رائعة. وهنالك الكثير يجب أن تشاهديه.

– لقد تجولت في كل أطراف جاكرتا اليوم.

فنظر إليها ببرود:

– يبدو أن المدينة هي التي تجولت عليك.

وكبحت شهقة انزعاج.. فكائناً من يكون، فالغريب هذا لا يؤمن بإخفاء الحقائق. وقبل أن تفكر برد مناسب.. إستدار عنها ليشير إلى الخادم قريب منه وقال له.

– عصير ليمون مثلج لإثنين من فضلك.

دون أن ينتظر ليعرف إذا كانت ستقبل أو حتى تحب عصير الليمون المثلج. وكائناً من يكون فهو لا ينقصه الثقة بالنفس وشدت تريش على أعصابها وقالت بكبرياء:

– أنا لست معتادة على هذا النوع من الحر.

ـ عليك المحاولة إلى أن تتعودى على الطقس.. وهناك طرق أسهل لرؤية جاكرتا من أن تجهدى نفسك.. كما أنك بحاجة إلى غطاء رأس. إنه ينتقدها الآن. رجل وقح!

ـ لقد أشتريت منديلاً من السوق.

لست مضطرة لأن تعتذر لأى كان، على الأقل من هذا الغريب.. ومع ذلك قالت بصراحة:

ـ لقد سرقها منى قرد.

ـ هل كنت تتفرجين على القلعة؟

كان هذا تقرير واقع.. وليس سؤالاً. وللحظة أحست أن لعينى الغريب قوة تخرق تفكيرها. وبجهد تمالكت نفسها فمن الواضح أنه يعرف المدينة تماماً. وقالت دون أكتراث.

ـ بإمكانى شراء واحد آخر.

من طرف عينيها لمحت مرافقها يسرع نحوها، وقد أنهى مكالمته. وقالت بسرور وبلهجة لا تشجع على متابعة الحديث:

- ها قد أتى زميلى الآن.

لو سألها ما هى طبيعة عملها فى أندونيسيا فلن تستطيع أن تقول له.. ومواربة الإجابة على مثل هذا السؤال قد يثير فضوله، وإذا أجابته، فقد تضع نفسها، والنفائس التى بعهدتها فى خطر.. وزميلها يعود فى الوقت المناسب.

فى هذه الأيام ليس من الضرورى أن يكون اللص فى كامل ثياب عمله، من قناع وكيس على ظهره..

ورمقت تريش الغريب ذو البذلة «الكريم» نظرة إرتياب.. وعلى الرغم من عطشها، تركت كوب عصير الليمون المثلج حيث تركه الساقى، دون أن تمسه، فوق الطاولة.

وقال زميلها معتذراً:

- أسف لتركك منتظرة لفترة طويلة.. لقد أخذت المكالمة مدة أطول مما اعتقدت. والأنباء ليست جيدة، كما أخشى.. لن تصل بقية الأغراض قبل عشرة أيام على الأقل.

وأشـارت تريش بعـينيـهـا كـى لا يذكـر مـا تحـتـويه تلك الأغراض... ألا يعلم أن من واجبه أن يكون كتوماً؟ ربما هى المرة الأولى التى يتعامل فيـهـا مـع مثل هذه الأمـور.. ربما لم يـحـذره أحـد. فـقـالت بسـرعـة مـحـاولة أن تقطع الطريق على أية تفضيلات قد يقولها:

- إذت فمباراة يوم الأربعاء لم تعد تهم..

فابتسم زميلها للغريب:

- ليس الآن. حـقـاً.. وقـد تحـبين أن نذهب مـعـاً لمشاهدتها. فأنا أرى أنك قد قابلت السيد ستانواى.

لقاء مع المجهول

لم يكن هناك شيء يقال.. ولو كان لما استطاعت تريش أن تتلفظ به. لقد قادها هانز ستانواى إلى مهاجمة كل مشجعى الكركيت المتعجرفين.. وواحد منهم بشكل خاص.. وهو.. بالاسم.

كما لابد أنه ضحك عليها وهو يراقبها تحفر حفرة عميقة لنفسها ثم تقع فيها رأساً على عقب.

هانز ستانواى كان بعيداً جداً عن صورة ذلك التاجر الذى تخيلته.. إنه شاب فى أوائل الثلاثين. جميل الطلعة أكثر من المعدل المعروف، ويعرف هذا.. كذلك فهو رجل ماكر بحاجة لأن تحذر منه.

بعد إشعال الفتيل، راوغ زميلها فى الهرب من

الإنفجار القادم:

- سأترككما لتتعرفا.. وسأعود.

ولحق بالساقى الذى أشار له عن وجود اتصال هاتفى آخر له وأضاف من فوق كتفه.

- سأتصل بكما حال أن أسمع أى شىء نهائى.

وقبل أن تجد تريش الكلمات التى تنوى قولها له كان قد ذهب وأصبحت لوحدها مع هانز ستانواى.. ونظرت إليه بقلق، بينما عقلها يبحث بخوف عن كلام هادئ مركز لتقوله.

وحرمها الفرصة بسؤاله:

- أين هو المراسل الرجل الذى يرافقك؟

- ليس هناك مراسل آخر. ولا أحد يرافقنى.

- لقد قيل لى أن هناك شخصاً اسمه باتريك ويلمان.

- أنا باتريسيا ويلمان. ولست باتريك...

من الواضح أن هذا الرجل لا يعتقد أن فتاة بمقدورها

أن تعمل كمراسلة. واستوى فى مقعده وتابع:

- أنت لا تعنين... لا يمكن أن تعنى... أن فتاة أرسلت إلى هنا لوحدها فى مثل هذه المهمة؟

دهشته وغضبه كانا واضحان كوضوح الإهانة.. وتصاعد سخط تريش ليقابل غضبه:

- إذا كان إدى إدواردز يثق بى.. فبإمكانك أن تثق بى أيضاً.

وأوصلت لهجتها غضبه إلى أعلى مستوى، ولكنها لم تهتم. فليس من شأنه من يكلف إدى بهذه المهمة. فليس له أى علاقة بمؤسستها، إنه فقط سيشاركها الرحلة، لصالح وكيلهم فى جاكرتا. وليس عليه مسؤوليات، ولا سلطة.. فيما يختص بها. وبجهد جعلت نفسها تتحدث بهدوء:

- أؤكد لك سيد ستانواى...

وتجاهل كلماتها وكأنها لم تتفوه بها:

- لا شىء فى هذا العمل يطمئننى. هل يدرك إدى أدواردز أنك قد تضيعين هنا فى جاكرتا لوحدك؟

الرجل لا يطاق! إنه كل شيء فكرت به عنه، وأكثر.. ماعدا كبره في العمر. وأطلقت كلماتها عبر أسنانها:

- لن تكون جاكرتا في خطر مني.. فلست أعض.

لو أنها كانت بحاجة إلى أي شيء يعزز سوء ظنها بالرجال فها قد وفره لها هانز ستانواي.

- لست أخاف على جاكرتا. إنها مدينة قادرة على العناية بنفسها.

وهذا يشير إلى أنها هي غير قادرة فقالت مقطوعة الأنفاس:

- سيد ستانواي...

- إستخدمي إسمي الأول فهذا يوفر عليك الوقت.

وهذا افتراض آخر، وبثقة ملكية بالنفس، إنها لابد تعرف إسمه الأول،.. واعترفت بهذا الافتراض المتعجرف بقولها:

- هانز إذن.

وأصرت على أسنانها غضباً عندما لاحظت وميض

الانتصار فى عينيه. ولكنه لم ينتظر أن تتابع حديثها:

- سأتصل بك عند السابعة مساء للعشاء:

مرة أخرى يخبرها، ولا يطلب منها .. وتابع:

- وفى هذه الأثناء سأقرر لك شيئاً مناسباً يشغلك فيما أنت منتظرة. وبهذا وقف على قدميه بترفع.. وقبل أن تتمكن تريش من تجميع ما يكفى من شجاعة لترد.. تركها وسار خارجاً من فناء الفندق.

سيقرر لي.. أنا قادرة تماماً على أتخاذ القرار لنفسى. ولا مت نفسها، دون طائل، لعدم إجابتها له وعدم التوضيح بأنها لا تحتاج ولا ترغب فى خدماته إلى الوقت الذى تكون فيه مضطرة لتحمل صحبته غير المرغوب بها فى رحلة العودة إلى الوطن.

أما بالنسبة للعشاء.. فقد فقدت شهيتها منذ الآن. فقد كانت تتطلع إلى وجبة هادئة لوحدها وهى مسترخية فى غرفتها.

دوش بارد وكأنه النعمة من السماء أعاد إليها بعض

من صفاء ذهنها. وطلبت مكالمة مع إدى لتقدم له تقريراً عن سير عملها، أو عدنه حتى الآن. فروقات الوقت جعلته يتسلم المكالمة وهو ينهى سندويش غداءه،

ـ هل قلت ستانواى؟ هانز ستانواى؟

سندويتش الجبن والمخلل فى فمه لم يمنعها من نطق الأسم صحيحاً.

ـ هو نفسه.. وأنا ملتزمة مع الرجل للعشاء هذا المساء. ولكن إذا كان يظن أنه سيمتلك وقتى بفرقعته فى أصابعه فعليه أن يفكر ثانية.. ولو نفذت ما فى رأسى فلن نلتقى ثانية قبل أن يحين وقت ركوبنا فى الطائرة.. وهذا بعد عشرج أيام على الأقل يا إدى.

وخطرت لها فكرة.. فقالت بسرعة:

ـ هل أستطيع العودة، ثم أعود ثانية بعد أن يكون كل شيء قد أصبح جاهزاً. فلن يكلف هذا كثيراً، فهذا الفندق أجره مرتفع.. وهذا الأجر سيغطى رحلتى.

ـ لا تهتمى بفاتورة الفندق.. إبقى حيث أنت. واسعى

لمصادقة هانز ستانواى بكل قوتك.

- وهل يتوجب على هذا؟ فالرجل متعجرف.. مستبد...

- لا يهمنى هذا، كل ما يهمنى هو أننا فى مهنتنا إسم هانز ستانواى له فخامته.

- وكذلك مؤسستنا!

- جرعة مضاعفة لا تضر أحداً أبداً. لذا التصقى بى.

وأطلقت تريش آخر سهم بائس فى جعبتها:

- وماذا عن المعرض؟ فبهذه السرعة البطيئة يبدو أنه سينتهى قبل أن أعود.

- لم أؤكد على المكان المطلوب بعد.

- ألم يأتى رد من المعرض الوطنى فى باريس؟

- أنا أعمل على هذا.. كونى فتاة طيبة.. واعلمى بأى شىء يقوله ستانواى.

وردت تريش بسرعة:

- مع التحفظات.

وكافئها إدى بضحكة رنت فى الجانب الآخر من الخط.

ـ لم أقصد إلى هذا الحد.. وأنت تعرفين هذا.. ولكن تذكرى، فى مهنتنا من الجيد أن يذكرنا هانز ستانواى بالخير وكأننا فزنا بجائزة ملكية.

ـ فى هذه الحالة لن تحتاج إلى قصر اللوفر. أليس كذلك؟

وأحست بأفضل حال لسماعها ضحكة إدى وقوله:

ـ لقد أصبتنى!

وعلق السماعة.

كل إحساساتها كانت تحثها على البقاء فى غرفتها وتجنب العشاء مع هانز.. ولكن تعليمات إدى كانت واضحة ولا يمكن تجاهلها بسهولة.. وذكرت نفسها أن ما ينتظرها من ضيق إنما هو فى سبيل الواجب. فارتدت ملابسها بعناية فائقة كى تعطى نفسها الثقة للأمسية التى تنتظرها.

الطقس حار جداً لارتداء المجوهرات. فتركتها، واختارت ثوباً حريرياً طويلاً بلون أخضر شاحب، ينسدل ملتصقاً بنعومة على جسدها النحيل وينعقد عند خصرها برباط أبيض حريرى وأكملت أناقتها بحذاء رقيق أبيض بشرائط وحقيبة يد مماثلة.

النتيجة بدت أنيقة بهدوء.. ونزلت السلم لتقابل هانز فى موعده عند السابعة. وتمنت لو تستطيع إخفاء التوتر الذى جعل معدتها تتقلص متساءلة ما إذا كانت ستتمكن من تناول الطعام.

وأخذ هانز يراقبها وهى تنزل السلم.

ولمحته تريش فوراً... يقف عند طرف البهو البعيد.. من الصعب أن لا تراه. لون شعره المميز وطوله الفارع كان يميزه عن الرجال الآخرين المتجمعين فى البهو. وتمنت باضطراب لو يزيح نظره عنها.. فنظرته الثابتة عليها لا تطاق.

وتحرك هانز.. وأخذ يسرع الخطى عبر الردهة ليلاقيها.. ولاحظت تريش أن الناس يوسعون له الطريق

ليمر بينهم.

ووصلا معاً عند أسفل السلم. وللحظات طويلة وقف، ينظر إليها.. ولم تكن قادرة على التحرك إلى أن تحرك هو. وأطلقت نظرة غضب إلى وجهه لتلمح قطعتى الصوان فى عينه تطلقان الشرر.

وأمسك بمرفقها بيده وقال بحدة:

- هل لنا أن نذهب؟

- وهل لدى خيار آخر.

على الرغم من تعليمات إدى، كان صوتها لاذعاً، ونظر هانز إليها نظرة جانبية. وقال بلهجة آمرة:

- أوقفى إطلاق النار لهذه الأمسية. فقد دعانا بعض أصدقائى للعشاء فى منزلهم. وباعتقادهم أنك ستتمتعين بهذا أكثر من بقائك فى الفندق.

ربما، أصدقاءه القدامى من أيام الدراسة؟ وليس بالكبار فى السن كما تصورت.. وقالت له:

- هذا لطف كبير منهم.

. هانز ستانواى لم يكن تلميذ جامعة قليل الخبرة، ولا رجل بلدة صغيرة متحذلق مثل بيتر.. إنه رجل مجرب منحك بكل ما فى الكلمة من معنى، ويجلس على قمة النجاح فى مهنته. ثرى.. قوى.. وواثق من تلك القوة، مما يجلب من هم أقل منه درجة عليه كما يجتذب نور الشمعة الفراشة.

ولكنها كانت مصممة على أن لا تكون واحدة ممن يحرقن أجنحتهن. وجلست متوترة إلى جانبه فى السيارة.

وقادها بصمت، وكل إهتمامه مركز فى الشوارع التى لا زالت مكتظة، والتى التف فيها وناور ببراعة قالت لتريش أنه يعرف كل شبر فى هذه المدينة.

وأوقف هانز السيارة أخيراً أمام منزل كبير خاص.. يبعده عن الشارع حديقة مسوّرة. أصدقاء هانز، كانوا، كما هو ظاهر، أناس من علية القوم... ولاحظ نظراتها المندهشة وقال:

ـ سوف تحبين شاندو وزوجته.. كلاهما يحب الضيوف. إنهما من أبسط الناس ليتوالف المرء معهما.

ولكن هذا لا ينطبق على رفيقها.. وأطلقت تنهيدة أرتياح. وخف توتر أعصابها، لتعود إلى التوتر فوراً عندما فتح لها الباب وانحنى ليمسك ذراعها بأصابعه الطويلة النحيلة ليساعدها على الخروج.

وبجهد، أجبرت نفسها على التركيز على ما يقوله لها:

ـ كلاهما يعمل فى المستشفى القريب من هنا.. شاندو خبير فى الأمراض الأستوائية. وسوف يسافر إلى أوروبا فى جولة دراسة إلى هل لديه أطفال باترى؟ لقد سمعت، من مكان ما، أنه غير متزوج.. وكانت تعتقده أعزب عجوزاً.. كم يا ترى هى مخطئة بأفكارها عنه؟ فكونه أعزب ليس من الضرورة أن يعنى... وأحست الأسف فى لهجته، فنظرت إليه خلسة.. إذن هذا المستبد التكبر لديه نقطة ضعف. فمن الواضح أنه مولع بالأطفال.. أو على الأقل أبنى صديقه.

ونفضت عن ذهنها هذه الأفكار.. فليس فى نيتها أن تزيد من غروره بنفسه بإظهار أدنى أهتمام بحياته الخاصة.

إنها أمرأة تتحكم بنفسها وهكذا تنوى أن تبقى. وليس لديها مانع فى أن يقرأ أفكارها.. ولم يظهر لها أنه قد فعل هذا عندما أضاف:

ـ لا بأس.. سترين الطفلين فى الغد. إنهما مرحان، وستحسى بالسرور وأنت معهما.

وأجفلت تريش.. غداً؟ وقالت له بثبات:

ـ فى الغد.. سوف...

وفتح باب المنزل وخرج مضيفهما ومضيفتهما ليرحبا بهما. وأسرعا ينزلان درجات السلم ليصافحاهما:

ـ كم هو لطف منكما أن تأتيا!

وأحبتهما تريش من أول نظرة. الخبير فى الأمراض الأستوائية، الطويل النحيل، بوجهة الوقور الذى ينم عن ذكاء، وعيناه المبتسمتان بالترحاب وهو يصافح تريش. وزوجته، الأقصر القامة، واملأ جسماً، بنظرتها المرحة ويداها المدودتان المرحبتان بتريش وصيحتها المتشوقة:

ـ أنا سعيدة جداً لأستقبالك... ستنقذينى من أمسية

أخرى أضطر فيها للإستماع إلى حديث لا ينتهى عن الكريكت.

وانفجرت تريش بالضحك، فضحكت جالا بدورها.. وسرورهما المشترك رباطاً فورياً بينهما.

الضحك ساعد تريش على الأسترخاء ونسيان توترها، والعشاء أصبح وجبة طعام لذيذة. شاندو وجالا كلاهما تجول فى كل أنحاء العالم تقريباً، كما الحال مع هانز، واستمعت تريش بعجب وهم يتحدثون عن أخبار العالم من أقصاه إلى أقصاه.. ولم يتركاها تبقى مجرد مستمعة.. فقالت لها جالا:

ـ أخبرينى عن طبيعة عملك.

وهكذا أنضمت تريش إلى الحديث، تصف رحلاتها المحدودة لحساب إدى برفقة أصدقاءه أصبح هانز شخصاً مختلفاً. فقد ذهب ذلك الطاغية المتزمت المستبد.. ليحل محله رجل يخلو من الهموم يتمتع باللعب مع أطفال صديقه

وداعبها ممازحاً وكذلك جالا. وتصدى بالدفاع عن صديقه بنقاش مرح تمتع به كلاهما.. وأخذت تريش تراقب حجرى الصوان تقدحان، ثم تخبوان، لتعود إلى الأشتعال ثانية وهو يتحدث بحماس، وينقلب حديثه من الجدل إلى الهزل.

وأحست بالصدمة عندما علمت أن العشاء قد أنتهى، وأدركت أن ثلاثة ساعات قد مرت منذ وصل المنزل. وفيما بعد، وهم جلوس لأحتساء القهوة فى غرفة إستقبال ساحرة، قال مضيفها:

ـ هانز وأنا لم نذكر الكريكت ولا مرة فى هذه السهرة.فضحكت جالا:

ـ لقد أظهرتما عوارض التراجع.

والتفت إلى تريش:

ـ شاندو والطفلين مجانين بلعبة الكريكت.. لذا ترين أننى خارج الحلبة.. وعندما ينضم إليهم هانز لا يعود أمامى أية فرصة.. ونظرت إلى الرجلين الذين نجحا فى

الظهور بمظهر الأولاد المذنبين:

ـ هيا.. إفتحا الراديو.. أعرف توقكما لسماع آخر أخبار المباريات ونتائجها.. تعالى معى يا تريش، سنبتعد عن الطريق ونصعد إلى فوق لنلقى نظرة على الصبيان، ونتحدث عن شئ له أهميته.. كالملابس مثلاً.

وقالت تريش وضيفتها ترشدها الطريق:

ـ هذا السارى الذى ترتدينه جميل جداً.

ـ أنا أحصل على أفضل ما فى العالمين.. أرتدى الثياب الغربية غالباً.. وأحب أزياء باريس.. مع أننى باطبع، لا أستطيع تحمل شرائها دائماً

ـ التطريز رائع.

فابتسمت جالا:

ـ بعد قضائى يوم عمل فى المستشفى، مرتدية رداء أبيض مثلى مثل الرجال.. أحب أن أرتدى ثوباً جميلاً فى المساء. وأحب أن لا أظهر بمظهر الطبيبة.. لأصبح.. لأصبح مجرد إمرأة.

ـ ليس مجرد إمرأة.

ـ هل أنت من أنصار حرية النساء؟

ـ لا.. ليس لدى الوقت الكافى لمثل هذا .. يبـــدو لى الأمـر دائماً... نوع من المبـالغة، غيـر الضـرورية. وهزت جالا رأسها موافقة:

ـ بل غير ضرورى بالكامل.. فمهما حاول الناس تغيير الأشياء، فستبقى المرأة إمرأة. والرجال رجال.و...

ـ فلتعش الفوارق!

ـ بالضبط..

وضـحكت جـالا، ووضـعت أصـابعـها على فـمـهـا وهـما تقفان أمام باب.

ـ سـأدخل لألقى نظرة على الولدين.. أدخلى مـعى إذا شئت رؤيتهما فلا أريد إزعاجك بالأطفال...

نظرتها سألت سؤالاً. وردت تريش ببساطة:

أنا لا أنزعج أبداً من الأطفال.

إبتسامتها حملت القناعة وهى تنظر إلى الطفلين النائمين وقالت جالا وهى تشير إلى السريرين كل بدوره:

ـ أربع سنوات، وهذا لا يكمل السادسة. وهما لا يبدوان كالملائكة هكذا وهما صاحيين.

ـ كلاهما جميل... أنت محظوظة.

ـ ربما سيكون لك أطفال فى وقت قريب.

راستعادت تريش سيطرتها على عواطفها وقالت:

ـ أوه.. لا.. ليس قبل وقت طويل. فلست أنوى الزواج الآن. أريد السفر لرؤية العالم.

والأسباب هى سرها ولن تشارك أحد به. وقالت جالا بسرعة:

ـ شاندو والولدين هم عالمى.

ـ زوجة أخى تتوقع أن تلد أول طفل لها فى أية ساعة الآن. وعندما أعود، على الأرجح سيكون بإنتظارى إبنة أو أبن أخ. ولا أستطيع الإنتظار لمعرفة أيهما. ونظرت حالاً إلى يد تريش اليسرى

ـ هذا ليس نفس الشئ كحصولك على أولاد لك. هل أنت مخطوبة؟ فهزت تريش رأسها:

ـ لا.. لست أنوى التضحية بحريتى.

كم كانت قريبة من هذا، لرجل لم يكن يتساهل.. وتابعت جالا:

ـ ستلتقين بشخص فى يوم ما.. وعندها لن يبدو لك الأمر تضحية. ولحقت بجالا عائدتين إلى الطابق الأرضى، وانضمتا إلى الرجلين فى الوقت الذى كان شاندو يقول:

ـ ليس هناك أخبار بعد عن المباريات حتى الغد. وأتبعت تريش صيحة جالا «عظيم!» بسؤال:

ـ هل سيلعب فريقكم؟

وفاجئها مضيفها بالقول:

ـ نحن لا نؤيد أى فريق.

وشرحت جالا:

ـ شاندو وهانز محايدان.. إنهما لا يهتمان بالفرق،

فما يهمهما هو اللعبة ذاتها.

وأكملت موجهة كلامها إلى الرجلين!

- لا تهتما.. يبقى أمامكما يوم الأربعاء للتشوق له.

والتفتت إلى تريش:

- شاندو وأنا قررنا أخذ إجازة قبل رحلة التدريب.. لقد سلمنا مهامنا إلى من ينوب عنا فى المستشفى، والطفلين أخذا إجازة من المدرسة أيضاً، لذا سيذهبان إلى المباراة.. مع أن هذا لن يعفيهما من الدرس طبعاً. فلديهما درس قاس لساعات يومياً.

إذن ستتخلص من هانز يوم الأربعاء.. ولكن يبقى أمامها الغد ويوم الثلاثاء. ويبدو أنه قد خطط لها ما ستفعله دون أن يرى ضرورة فى استشارتها أولاً.

وكانت تفكر فى كيفية الخلاص منه عندما قال لها شاندو:

- هل تسمحين لنا بأن نريك أشياء من بلدنا غداً يا تريش؟ لقد قال لى هانز أن لا عمل لك، وأنك لم تشاهدى

الكثير من المدينة.

ـ أوه.. لا يمكن لى أن أتطفل على عطلتكما.

فابتسم مضيفها:

ـ ستصنعين لنا معروفاً.. وخاصة لجالا.. إنها مولعة بالتاريخ. ولا شئ يسعدها أكثر من عرض آثارنا الشهيرة للضيوف.وتابع متفاخراً:

ـ جالا دليل سياحى ممتاز. والأطفال سيأتون معنا. فهما لا يفوتان تجوالاً تقوم به أمهما. ولقد بدئا بإظهار بعض إهتمام أمهما بالتاريخ.. وهما ينتظران سفرما إلى بلچيكا بفارغ الصبر.. لقد وعدها هانز أن يكون دليلهما هناك. فكيف يمكنها أن ترفض؟

بدون أن يتلفظ بكلمة.. حشرها فى الزاوية حيث لا مهرب لها. ونظرت إليه غاضبة، والتقت عيناهما.. وقدحت قطعتا الصوان بانتظار، مما أكد لها أنه هو من رتب هذه الدعوة. وأضافت جالا رجائها إلى طلب زوجها.

ـ تعالى أرجوك تريش.. سنحب أن تكونى معنا.

سنأخوذك لزيارة المدينة القديمة والجامعة الإسلامية. وسيعجبك كل هذا .. كذلك القلاع. فتدخل هانز:

ـ لقد ذهبت إلى القلعة، وسرق منديل رأسها أحد القرود. ووسط الضحك قالت جالا:

ـ سأعطيك واحد من عندى.

أحضر هانز المنديل معه عندما حضر لأخذ تريش فى الصباح التالى. فأخذت المنديل الملفوف فى صرّة وفتحته، وشهقت سعادة عندما فردت أمامها المنديل الحرير الطويل المزخرف. وبدا أنه لم يستخدم من قبل.. ربما هو أفضل وشاح عند جالا. وبمحض لصدفة كان لونه يناسب الألوان التى ترتديها تريش.

ـ إنه رائع.. كم هذا لطيف من جالا.

ووضعت الوشاح على شعرها ولفت طرفيه على كتفيها .. فقال هانز بإعجاب:

ـ جميل جداً:

ولم تدر من نظرته ما إذا كان الإعجاب بها أم

بالوشاح!. ولم تتح لها الفرصة لمتابعة التفكير إذا تابع فوراً:

– لن تحتاجى لغطاء رأس اليوم. سنستخدم باصاً صغيراً، إنه مكيّف. لذا ستجدين التفرج على معالم المدينة مريحاً.

وتبادل الرجلان قيادة الباص الصغير. فى البداية كان الطفلان هادئان، واضح أنهما تلقيا تعليمات صارمة من أبويهما أن يتصرفا بأحسن ما يمكنهما. ولكن تصرفها المتودد معهما جعلهما يستعيدان حيويتهما الطبيعية بسرعة. وأخذ يتحدثان بمرح وجالا تقود المجموعة الصغيرة للتفرج على المعالم المفضلة. وشكرتها تريش على الوشاح، فقالت:

– إنه ليس لي... مع أننى أرحب بأن تأخذى واحداً من عندى.. ولكن هانز أصرّ على شراء واحد لك. وباعتقاده أنه سيعجبك وتحتفظين به، كتذكار لإقامتك هنا.

– لم يقل لى أنه أشتراه.

وهذا يفسر لماذا كانت ألوانه متناسقة مع بذلتها القطنية. وهو يعرف أنها لن ترجعه، بل ستستبقيه ليس كتذكار من جاكرتا بل تذكار منه. فلماذا؟

لديها أسباب جيدة لتعرف أن هانز مراوغ بارع عندما يريد تنفيذ شئ. وضمن المحافظة على تعليمات إدى، فهى مصممة على تجنب هذه الطريقة، مهما كانت، وبالقدر المستطاع.

الإثنان كانا يكبحان مواجهة أبقت أعصابها مشدودة على الرغم من الهدنة بينهما.. وبدا ملمس الوشاح الخفيف على رأسها وكتفيها غير مريح مثله مثل لمسة يد هانز عليها.

وعلى الرغم من البرودة النسبية للباص الصغير.. فهم مضطرون لتركه كى يتجولوا.. وأصبحت الحرارة أكثر من أن تتحمل خلع الوشاح والسير عارية الرأس.. وهكذا بقى الوشاح ليذكرها بانتصار هانز عليها.. التذكر جلب معه لحظة من الذعر الكامل سببها السهولة التى أستطاع بها أخذ زمام الأمور بين يديه.

سحر الألوان

ذلك الصباح من ارتياد للأماكن الأثرية فى المدينة، وفر لتريش صندوق عجائب من الصوت والصورة، تمتعت بها على الرغم من توترها لوجود هانز... وستبقى ذكراه فى ذاكرتها إلى الأبد.

جاكرتا كانت متألقة، وأعادت جالا تاريخها إلى الحياة.. وأمطر الطفلان والدتهما. بكل أنواع الأسئلة التى ترددت تريش فى أن تطرحها بنفسها. وعلق شاندو بمرح:

ـ جالا هى المسؤولة اليوم.. وأنا مجرد سائق. وردت عليه تريش:

ـ إنه كالسحر.. فلا يوجد كتاب دليل يوفر هذا القدر

من التفاصيل. وكان يوم تناقضات.. فالرخام البارد والحجارة ذات الظل توفر إرتياحاً مباركاً من قساوة الحرارة وغبار الشارع... ولعل النداء الفوري إلى الصلاة من مسجد أثرى مجاور ليقطعَ كل حركة فى السوق... ومروا بمكان يجرى فيه الأحتفال بالإستعدادات لعرس.. فقالت لها جالا ممازحة:

ـ ألا تحسدين العروس؟

السيارات كانت مبهجة للنظر بزينتها من الزنبق والزهور والقماش البراق... الألوان مرحة كما هو جمع المحتفلين الذين ضحكوا ولوحوا للزوجين السعيدين.. وضحكت تريش بدورها ولوحت لهما.. ولكن رأسها أهتز بعنف:

ـ أحسدها؟ بالطبع لا. لقد قلت لك.. أنوى أن أبقى وحيدة.

تحدى وجود هانز لها رفع من حساسية تريش.. مما شحذ قوة ملاحظتها إلى دقة تماثل دقته، وسرعان ما انقلب هذا إلى صراع صامت بين الأثنين، ومما زاد حدته أنه بقى صامتاً.. وأشارت تريش بحماس.

– أنظروا! هناك ساحر أفاعى.. هناك قرب ذلك السلم من السوق، معه أفعى الجرس.. فصحح لها هانز ليسجل عليها نقطة فى الصراع الصامت بينهما:

– إنها حية «كوبرا».

وبررت هزيمتها أمامه بأنه يعرف البلاد أكثر منها. وبسرعة نسى كلاهما صراعهما عندما دخلا المسجد الكبير الأثرى لزيارته... فقد طمس تاريخه التراجيدى الرائع على كل أثر للصراع فى ذهنهما. وحدقت تريش بصمت إلى البناء الرخامى اللماع.. وانعكاسه فى البحيرة الإصطناعية الرائعة المستطيلة فى فنائه وكأنها المرآة، وأحست بالإثارة تقفل عليها التنفس وهى تستمع إلى جالا تعيد تاريخ بنائه وما مر عليه من أحداث منذ أن بناه المسلمون الذين أدخلوا الدين الإسلامى إلى البلاد فى القرن الخامس عشر. تهدمد عاصفة.. أنهى جولتهم فجأة بعد الغداء بوقت قصير.. وبدأت الحرارة ترتفع لدرجة خانقة، وأخذت تريش تذبل بشكل ظاهر مما دفع هانز لقرار:

ـ لقد آن لك أن ترتاحى. وتجاهل احتجاجاتها وتابع:

ـ أدعوكم جميعاً للقاء الليلة.. وسأحضر تريش من فندقها. وابتسم للطفلين:

ـ سيكون هذا أبعد من موعد نومكما.. ولكننى سأعوضكما عنها.. سأشترى لكما الأيس كريم يوم الأربعاء. العشاء كان مناسبة لا تنسى، نسبة لما يحيط بهم من مناظر كذلك لجودة الطعام. وبمحاولة منها أن تبعد التفكير به عن ذهنها ركزت أهتمامها بما يحيط بها فكل الأماكن رائعة. لقد أتى بهم هانر إلى الفندق الذى يقيم فيه.. وقال لها شاندو:

ـ لقد كان هذا قصراً فيما مضى. وفكرت بحدة، وفى أى مكان أخر يمكن لملك الأثريات فى العالم أن يقيم؟ وأحست بالخجل لسخريتها عندما أضاف شاندو:

ـ العديد من القصور عندنا تحول إلى فنادق كى يتوفر المال اللازم للعناية بها. مثل القصور القديمة لأسلافكم فى أوروبا.. والأمر محزن بطريقة ما، مع أنه يحفظ سلامتها للأجيال القادمة لتتمتع بها. وقالت تريش بإعجاب:

– إنه رائع.. وكأنه من غير هذا العالم! وقالت جالا:

– يمكننى إخبارك عن تاريخه إذا أحببت.. هذا إذا لم تكونى قد اكتفيت من سماع القصص التاريخية ليوم واحد؟

– أخبرينى أرجوك. التاريخ محفوظ بأمان فى ماضيه.. انتهى عهده ولن يعود.. ودفعت بأفكارها إلى طى النسيان وجالا تقص القصص العتيقة عن الحب والحرب.. واحتلت أقاصيص البطولات الجريئة ما تبقى من سهرتهم إلى أن قالت تريش فى النهاية:

– كم أتمنى لو أن إدى ينقل معرضه إلى هنا.. الأمر رومانسى أكثر بكثير من أوروبا. فسألها هانز دون إكتراث:

– ألن يستخدم مركز المعرض الوطنى فى باريس؟ عادة يفعل هذا؟ ورفعت تريش حاجبيها.. لشخص يتجاهل وبإصرار خدمات مؤسسة إدى إدواردز.. يبدو أنه معلومات دقيقة عن نشاطات المؤسسة فأجابت:

– لا أظنه هذه المرة.. فهو يبحث عن مكان يوفر له التأثير اللازم. ولقد اقترحت عليه قصر فرساى.

ـ كنت أظننى أستطيع تحمل الحر. ولكن جاكرتا فى هذا الوقت من السنة تنتج نوعاً خاصاً بها من الحر.

ـ قد تتعودين عليه مع الوقت.

ـ لن أمكث هنا فترة كافية.

ـ الحرارة الموسمية تجعلنا نتعب.

فقالت جالا رداً على شاندو:

ـ سنذهب إلى الجبال لبضعة أيام قبل بدء رحلة شاندو.. لماذا لا تأتى معنا؟ هناك غرفة كافية فى منزلنا الريفى هناك. وسنحب أن نستضيفك. وسنبدأ رحلتنا حال عودتهما من مباريات الكريكت يوم الأربعاء.

ـ كم أحب أن أجئ معكم.. ولكن هناك إمكانية وصول المعروضات فى الوقت المحدد.. ويجب أن أنتظرها هنا.

ـ قال هانز إنها لن تصل قبل عشرة أيام. وهذا يعنى على الأقل بقاءك هنا حوالى أسبوعين.

وتدخل هانز:

ـ سيكون لك الوقت الكافى لرحلة الجبل.. أتركى رقم

وبدا الاهتمام على جالا.. ولكن هانز سارع للقول:

- ألم يضع فى ذهنه مكان محدد بعد؟

- لم يكن قد قرر بعد عندما تحدثت معه الليلة الماضية.

- وهذا يعنى أنه لم يقرر زمان المعرض أيضاً.

- هناك خطوط عريضة فقط. وقد يكون هذا فى وقت ما من نهاية هذا الشهر. وليس هناك شىء محدد بعد.. وحسب ما أعلم.. الزمان يعتمد على المكان.

وبدا هانز مفكراً. ونظرت إليه تريش متفحصة.. هل إنشغاله يعنى صرف النظر عن الموضوع؟ أم عدم الاهتمام؟ أم الانتقاد؟ وكيف يمكن له أن ينتقد مؤسستها والتى يرفض دوماً خدماتها؟

وكسر شاندو الصمت:

- هذا أمر جيد. لأنه يعنى أن المعرض سيكون قائماً عندما نصل أوروبا.. وأحب أن آخذ جالا لتتفرج عليه.

وقالت جالا مبتسمة:

- سيكون الطقس أبرد عندكم لإقامة المعرض.

الهاتف مع الوكيل هنا، مع أن الأمر لن يكون ضرورياً. وجالا محقة حول التوقيت.

إذن هو هانز.. لقد أصاب سهمه هدفاً آخر ضدها. وكادت تصرخ به: لا لن أترك رقم الهاتف ولن تقول لى أين أذهب وماذا أفعل.. وكأننى موظفة عندك...

ولكن أسبوعين آخرين من هذا الحر الذى لا يطاق وستذوب دون شك. والبديل الوحيد، إذا أصرت على البقاء فى المدينة، هو أن تحبس نفسها فى غرفتها المكيفة الباردة نسبياً، وهذا مما قد يجعلها تموت سئماً، أو من الحر...

الخيار لم يكن خياراً بالمرة.. وتجنبت عينى هانز، وأعلنت استسلامها:

ـ فى هذه الحالة.. سأذهب معكم. فالحرارة بدأت تزعجنى. ويبدو أن قضاء وقت الانتظار مخبئة فى الفندق مضيعة للوقت...

قول هانز لشاندو:

- سأراك يوم الأربعاء.. سأسافر إلى ماليزيا حتى يوم الأربعاء..

أكد لتريش أنها ستكون لوحدها لليومين التاليين... وبالفعل لم تشاهده إلى أن حل يوم الأربعاء بعد الظهر عندما عاد هو وتشاندو والأولاد من مباراة الكريكت.

مساء ذلك اليوم أوصلها إلى فندقها.. وما أن وصلت إلى غرفتها حتى رن جرس الهاتف.. فأسرعت لرفع السماعة:

- باتريسيا ويلمان..

- تريش.. وأخيراً: كنت أحاول الاتصال بك لأكثر من ساعة.

- إدى.. من أين تتصل بى؟

الأمر هنا عكسى.. فمن واجب الموظف أن يتصل بالقاعدة. برب عمله، ليعطيه تقريراً عن سير العمل. وفى حالات الضرورة فقط يتصل إدى بالمراسل. وسألته تريش:

ـ هل هناك أمر طارئ؟ لا تبدو طبيعياً بطريقة ما. هل ألغى المعرض؟

حاولت إبعاد الرجاء الفجائي في صوتها.. فلو أن المعرض ألغى.. تستطيع عندها أن تعود دون مقابلة هانز ثانية. مع أن هذا التوقع لم يأت معه بالارتياح اللازم. وأغمضت عينيها غير قادرة على فهم عذاب أفكارها المتعارضة. وسمعت إدى يقول:

ـ أنا لست على ما يرام.. لا المعرض لم يُلْغَ.. بل هو ماض إلى الامام. في الواقع كل شيء في الحديقة رائع وستكونين أنت زهرتي المفضلة.

وارتفع حاجباً تريش، فربٌ عملها المعروف عنه ببعده عن العبث بدا لها غريباً فسألته بارتياب:

ـ هل كنت تشرب؟

ولكنه لا يشرب أبداً.. المشروب الوحيد الذي يتناوله هو القهوة... ملعقة شاي كبيرة من البن الفوري وإثنتان من السكر، وصب الماء المغلي عليها في الكوب الذي يحمل رسم «توم وجيري» والذي لا يفرقه عنه أي مبلغ من المال.

ـ ما الأمر يا إدى؟

ـ لا شىء.. ولكن سوف يكون هناك شىء، ابتداء من الشهر القادم سأضاعف راتبك.

ـ الآن تأكدت أنك سكران.

ـ يدى على قلبى.. وأقسم أننى لم ألمس نقطة واحدة، ولكننى أنوى الاحتفال مع القهوة وسندويتشات الجبنة بعد انتهاء المكالمة فوراً.

ـ إذا لم تتوقف عن المراوغة إدى إدواردز سأقفل الخط. ماذا يجرى بحق الله؟ وما هو داعى الاحتفال؟

ـ لا تقولى أنك لا تعرفى؟

ـ سأعطيك عشر ثوان لتشرح لى وإلا.. واحد.. إثنان..

ـ أنت حقاً لا تعرفين؟ إلم يقل لك ستانوای؟

ـ يقول لى ماذا؟ إدى لقد حذرتك.. ثلاثة.. أربعة..

ـ ذلك اللعين يعرف كيف يخفى خططه. وهذا أمر مؤكد، لقد اتصل بى منذ أقل من ساعة، وعرض على

قصره الخاص هل تصدقى هذا؟ إنه قصر أثرى قديم.. وعرضه على بالفعل لأقيم المعرض فيه.. هكذا دون مقدمات.

ـ ماذا فعل؟

وأكد لها إدى:

ـ هذا هو الواقع. كيف استطعت أن تقنعيه يا تريش؟ قصر ستانواى فى بلجيكا يفوق قصر فرساى فى فرنسا، على الأقل بالنسبة لغرضنا. ولا يمكن أن يكون هذا العرض أفضل فى مثل هذا الوقت من السنة والغابات حوله كلها مخضرة.. سيكون الأمر عظيماً. المقر المثالى... إنه فى وسط أوروبا سهل الوصول إليه وبعيد عن العامة.

بالكاد سمعته تريش.. وانتقل الارتجاف إلى ركبتيها، فجلست على السرير.. إنه لم يتلفظ بكلمة عن نواياه لها. حتى ولا عندما كان يوصلها إلى الفندق بسيارته. وعاد صوت إدى يصل إليها عبر غضبها:

ـ أنا لم أقبل عرضه فى الواقع بعد.

ـ لماذا لا؟ ألا تريد؟ لقد قلت...

ـ بل أريد. فهذا سيكون فخراً لمؤسستنا.. فما من أحد من العاملين فى هذا الحقل استطاع الاقتراب من دفاعات ستانواى من قبل. ولعلمى حتى الصحافة لم تستطع.

ـ فماذا يمنعك من القبول إذن؟

ـ أنت.

ـ أنا.. ولماذا؟ وما دخلى أنا فى الموضوع؟

ـ قبل أن أقبل عرضه أريد معرفة ماذا من وراء هذا العرض. لست أدرى كيف أشرح الأمر لك تريش...

ـ حاول بصراحة.

ـ عندما قلت لك أن تتماشى مع كل ما يقترحه ستانواى عليك لم أكن أقصد هذا حرفياً. فأنت تعرفين أننى لا أقصد.. أن... تتخطى الخط الذى يفرضه عليك الواجب.

ـ هكذا إذن.

واجتاحتها رغبة هستيرية للضحك قاومتها رغبة هستيرية أخرى فى أن تحطم شيئاً. فماذا قال هانز لأدى يجعله يتردد ويتساءل؟ وانفجرت تريش:

ـ إدى.. أيها الثعلب العجوز! لا.. أنا لم أتجاوز الخط.. كما أشرت إلى الأمر بلطف.. فلا شئ يمكن أن يغوينى.

ـ ستانواى شيطان وسيم.

ـ شيطان..؟

إنه وصف رائع.. وأكملت:

ـ كان عليك أن تعرفنى أكثر.. يستلزم الأمر أكثر من الطلعة البهية لأبعادى عن حريتى. لقد كنت مؤدبة مع الرجل حسب واجباتى.. وهذا كل شئ. ولا لزوم لك للقلق فى هذا السياق... فبعيداً عن الإغراءات، هانز ستانواى لا يعجبنى..

ـ أشكر الله لهذا!

ولاحظت أنه تنهد بارتياح ثم أكمل:

– هذا يعنى أننى يمكننى قبول عرضه بضمير مرتاح. ربما كان يفكر فقط بإظهار منزله.. لمرة واحدة.

إنتبه.. فنزوات أصحاب الجلالة فيها عادة بعض القيود المتعلقة بها.

– لا يبدو أى شئ متصل بهذا العرض. إلا إذا اعتبرت واقع أنه يريدك معه للمساعدة فى تنظيم المعرض قيداً.

– يريدنى أنا؟

– يبدو عليك وكأن هناك وخز إبر.

– ولكن المراسلين لا علاقة لهم البتة بالمعارض؛

– هناك دائماً المرة الأولى. وهذه المرة لا يجب أن تفوتك.. سوف أحضر لك كنزة خاصة عليها أسم المؤسسة كى يرى الناس أننا وصلنا إلى القمة.

إذا كان هانز يظن أننى سأجلس وأغنى له بين الأغصان وعلى اللحن الذى يختاره فهناك فترة تفكير أخرى بانتظاره. وما أن أقفلت الخط.. وبعد لحظات، حتى رن الهاتف مرة أخرى.. فمن يكون يا ترى؟ هذه المرة

كانت جالا. وقالت لتريش:

ـ تريش كان على ذكر هذا أمامك من قبل. سوف تحتاجين لكنزة دافئة عندما نذهبر إلى الجبل. فلا تنسى أن تحملى واحدة معك.. فالطقس بارد هناك.. فى الصباح وفى المساء.

ـ لن أنسى..

وأقفلت الخط وهى تضحك.. على الأقل هذه الكنزة لن تحمل أسم المؤسسة.

مهما كان إدى يظن.. فلا بد أن هناك ثمن ما لعرض هانز. والعملة هذه ستكون حريتها.. وأحست وكأن فخاً يطبق عليها.

مرة أخرى تصبح زمام الأمور بيد هانز... ويناورها كى يحشرها فى الزاوية حيث لن تتمكن من تخليص نفسها دون المخاطرة بالضرر لإدى ومؤسسته. وكرهت تريش هذه الممارسة الإضافية لاستبداده فى بسط سلطته عليها.

الحرب الناتجة عن هذا تركت تريش تحس بالتعب النفسى، ولم تتمكن من الوصول إلى أى إستنتاج عنما وصل يوم الأربعاء.

بوصولهم من مباراة الكريكت قفز الولدان يرقصان حول تريش وهما يتكلمان معاً ليبلغاها بما حدث لهما فى مشوارهما مع هانز فى الصباح، إلى أن صاحت بهما أمهما آمرة.

ـ أتركاها.. هيا. ليس هناك من واحد أجن منكما بلعبة الكريكت.

ـ لقد أشترى لنا عمنا هانز الآيس كريم.

فهزت تريش رأسها:

ـ إنه لم ينسَ.

لها أختبار مع ذاكرة هانز بنفسها. وأحست بالتصلب عندما تقدم نحوها ليساعد شاندو لوضع الحقائب فى «المينى باص».. ثم، على العكس، أحست بالامتعاض عندما لم يلق لها بالاً، أكثر من «مرحباً» عرضية.

واستدار ليوجه كل إهتمامه إلى الطفلين. وقال لهما بسخرية قاسية:

ـ أنتما التاليين.

وصاحا بابتهاج بعد أن لوحهما بين ذراعيه متظاهراً بأنه يريد وضعهما قرب الحقائب وربطهما فى مؤخرة العربة.

بمراقبته تعجب تريش لهذا المزيج الغريب الذى يسمح لرجل أن يكون لطيفاً فى لحظة.. ثم قاسياً متحجر القلب فى بسط سلطته فى اللحظة التالية. وتساءلت هل سيذكر أتصاله الهاتفى بإدى؟ وقررت بعناد أنها لن تذكر الموضوع إذا لم يثره هو بنفسه.

إنه واجب هانز أن يقول لها.. وليس العكس.. وإذا لم يعتبر الكلام معها مهماً ولم يسرّ إليها بالمسألة التى تهمهما معاً فلن تعطيه فرصة الرضى بإظهار فضولها.

وعلى الرغم من تصميمها لم تستطع سوى أن تشعر بالاستياء عندما حلت لحظة السفر، وبقى هانز رافضاً الحديث. وما أن وضع الطفلان بأمان داخل «الفان» حتى

استدار ليقبل جالا ويصافح شاندو، واستدارت تريش لتصعد إلى الباص وتجلس قرب الولدين. فقال الولدان:

ـ أنت لم تودع تريش عمنا هانز. لا يجب أن تنساها.

وأحست تريش بالغضب... هل كان أغفال هانز لها مقصوداً؟ وهل كان سينساها لو لم يذكره الولدان؟ وبيأس كانت تريده أن ينسى. وبيأس مماثل ما كانت تريد! وما تريده لم يبدو كثير الأهمية لهانز. فقال موافقاً:

ـ لا يجب أن ننسى تريش أبداً.

الرد كان مزيجاً من السخرية والتحدى.. يضع تحته خطاً مميزاً وميض صخر الصوان المشتعل فى عينيه اللتين حدقتا يها حرارة النار المشتعلة.

وتحركت تريش متشنجة، وابتعدت بحدة عنه، عيناهاواسعتان بتوقع وخوف لاحقها لليومين الماضيين، ولكنها لم تكن بعيدة كفاية لتتجنب يده الممدودة. فأدارها لتواجهه.. وأوقفت قوته مقاومتها على الفور.. وحملها بين ذراعيه، بسهولة وكأنها ليست أثقلمن واحد من الطفلين.

بينما كان ودون استعجال يطبع قبله، بالكامل.. على فمها المرتجف. والميني باص ينطلق مبتعداً قالت جالا نادمة:

ـ من الأسف أن هانز لن يأتي معنا.

فقال شاندو:

ـ ربما سيتمكن من الانضمام إليناعندما ينهى عمله في ماليزيا.

وبقيت تريش صامتة. مضيفها ومضيفتها لم يسمعا همس هانز لها:

«سألحق بك» والتى أطلقها لتصل إلى أذنيها فقط. وتصرف معها بحرية ليجعل كل نهاية عصب فى جسدها يتأرجح عندما حملها أخيراً ليضعها داخل الميني باص. ثم أطاعت الطفلين عندما صاحا بحماس:

ـ لوحى للعم هانز، تريش.

ورفعت تريش يدها طائعة، وهى تعلم أنه ليس بالوداع الحقيقى بل إلى اللقاء.. ولوقت قصير.

هانز سوف يأتى. ولكن متى؟ لاحق السؤال تريش خلال الأيام التى تلت، وكأنه شبح الرجل نفسه.

ولكى تبعده عنها رمت نفسها فى حنان محموم مع الطفلين.. ورحبا بها لمشاركتهما لعبهما بحماس.

ولكن مهما أرهقت نفسها باللعب، ومهما ركضت بسرعة، فقد أكتشفت أنها لن تستطيع الخلاص من وعد هانز الهامس «بالحق بك». وعد؟ أم تهديد؟

ووقف هذا الوعد التهديد بينها وبين اللعب الذى تلعبه مع الأطفال. ولطالما ضحكا عليها عندما كانت تخطئ أصول اللعبة. وقالا لها:

- أنت بعيدة عنا أميالاً بعيدة.. أخبرينا إلى أين وصل

بك التفكير؟

ـ إلى أرض الخيال.

وبجهد كانت تمازحهما حول هذا.. ممتنة لصغر الطفلين لأن لا يلاحظا التوتر فى ضحكتها.

متى؟ هل سيأتى غداً؟ أم فى اليوم الذى يليه؟

فى هواء الجبال البارد استعادت تريش حيويتها، ومع ذلك فقلة صبرها كانت تتزايد.. من الجنون أن تسمح لهانز... أو أى رجل... أن يسيطر على أفكارها بهذه الطريقة. فهذا يهدد استقلالها الذاتى، بالإضافة إلى راحة بالها.

فى اليوم الثالث للعطلة.. قال شاندو متأسفاً:

ـ لا يبدو أن هانز سيتمكن من الحضور.

ومع ذلك بقيت عين تريش تترقبان وصوله.. بالرغم من محاولتها اليائسة أن تسيطر على نفسها. ويمرور الساعات أصبحت متوترة نزقة حتى أنها خشيت أن يشاهد مضيفاها ويعتقدان أنها متضايقة من وجودها

معهما.

ووصل هانز بعدالفطار بقليل من يومهم الخامس فى القرية الجبلية. أطلت طائرة هليوكوبتر، وحامت منخفضة فوق فسحة مفتوحة فى ملعب الجولف.. ولاحظ الطفلان الطائرة من على شرفة المنزل:

– إنه عمى هانز! إنه عمى هانز!

وتسابقا لرؤية الطائرة تحط. ولحقت بهما تريش، تحارب شعوراً بحتميه قدرها، مصحوبة بشاندو وجالا، التى قالت بسرور:

– هذا رائع. لقد أصبحنا كلنا الآن معاً قبل أن نسافر. خذى ثلاثة أنفاس عميقة.. وتذكرت تريش نصيحة أبيها للتخلص من التوتر. لطالما نجحت هذه النصيحة.

ولكنها لم تنجح هذه المرة. الترنح انقلب إلى خفقان قلب سريع غير متناغم. وزادت سرعته فندما قفز هانز إلى الأرض وأخفض رأسه ليتقدم نحو الولدين ويضع كل واحد منهما تحت ذراعه. ويركض بهما بعيداً عن الغبار

الذى تثيره الطائرة. وما أن ابتعد حتى عاودت الطائرة الإرتفاع، وأمسك هانز بالولدين عالياً ليلوحا للطيارة. ثم أعادهما على أقدامهماوسار نحو والديهما وتريش. معلناً، من غير ضرورة:

ـ لقد عدت.

وتحدث إلى شاندو وجالا وعيناه تستدير نحو تريش. وتسارعت أنفاسها لتتناسب مع تسارع دقات قلبها. وحاولت إشاحت نظرها عنه. ولكنها وجدت أنها لن تتمكن من هذا فى وقت كانت فيه قطعتا الصوان ترسلان شررهما بإسرافها. وفكرت بارتباك: ربما سيتركنى هذا العفريت أنام هذه الليلة. ولكنها تعرف أن أملها خائب.. فبينما أجابت عودة هانز على واحد من تساؤلاتها.. فقد هددت بإثارة رزمة جديدة من الأسئلة على الأقل.. ولا واحد منها ترغب في أن تجيب عليه.

وبدت لها المناظر المحيطة أكثر جمالاً وهو يسميها لها.. مع القيم البعيذة للجبال.. عندما خرجا مع الأولاد في نزهة الصباح.

وزادت حيوية تريش من تنشقها للهواء العليل النقي.. وبدا ذلك واضحاً من الطريقة السهلة التي كانت تلتقط فيها الكرة التي يرميها لها الطفلين في الهواء.. وأظهرت نفس البراعة عندما صاح بها هانز:

- التقطي هذه تريش..! إمسكيها!

وأطبقت أصابعها على الكرة، مطيعة نداه، وجذبت الكرة من الهواء بسهولة أذهلتها. فصاح الطفلان تشجيعاً لها:

– أنت تتحسنين. لم تقع منك كرة واحدة طوال اليوم.

– كانت مهارتي صدئة.. فأنا لم ألعب الكرة منذ كنت في المدرسة.

– تخلصي منها بسرعة يا تريش.. إرميها!

وأرجعت ذراعها إلى الوراء، ورمت الكرة بطريقة تقرب من الاحتراف باتجاه هانز. وضحك الطفلان عندما رفع ذراعه ليلتقط الكرة، ودون توقع، أفلتت منه، وصاحا:

– لقد أصبت نقطة أخرى لك...

فابتسمت وركضت مع الولدين لاستعادة الكرة.

وكظمت غيظها.. لعلهما أن باستطاعته إمساك الكرة بسـهـولة.. وهكذا وضـعت من حـولهـا نوع من الدروع، مكنها أكثر من التعاطى مع هانز. وذكرت نفسها بأنها لو رغبت حـقـاً فى السـفـر إلى كل أنـحـاء العـالم، فـسـيكون أمامها الكثير من الرجال المشاهير أمثال هانز، تقابلهم ويماثلونه وسامة وحيوية واستبداداً.

ولتبقى حرة. ولتعرف معنى الأمان فى طريقها، عليها أن تتعلم كيف تواجه سحرهم، وأن تبقى بعيدة عن التأثر به. وليتم هذا بنجاح عليها أولاً أن تتعلم السيطرة على نفسها.

سيوفر لها هانز تدريباً ممتازاً... وأحست باستعادة سيطرتها على أعصابها لهذه الفكرة. مما أعطاها ثقة بالنفس دفعها لمعاتبة هانز على فعلته عندما توقف اللعب لقرب نوعد الغداء:

ـ لم تكن بحـاجـة لأن تجـاملنى.. فـأنا قـادرة على تسجيل النقاط لنفسى بنفسى دون مساعدتك.

ـ لا شك فى هذا أبداً. ولم يكن ذلك من تدبيرى.. فلقد أراد الأولاد أن أدعك تكسبين بعض النقط كى لا تشعرى أنك بعيدة عن اللعبة. قصدهما كان الخير... وهما صغار جداً كى يعرفا معنى الأستقلالية النسائية.

تصرفاته كانت تسخر من إستقلاليتها.. ومنها. وأحست بوجنتيها تحترقان، وما زادا إرتباكها أن هانز لاحظ تزايد احمرارهما.. وعلم أن طلقته أصابتها.

حتى الآن لم يذكر مكالمته مع إدى. وسجلت تريش عليه أنها فى هذا الخصوص متقدمة خطوة عنه. فمن الواضح أنه يعتقد الأمر لا يزال سراً. وعندما يحاول التنازل لمشاركتها هذا فسوف تفاجئه بقولها «أجل.. أعرف هذا مسبقاً» وستغير موضوع الحديث فوراً، وتترك لهانز مشاعر الهزيمة كما تشعر الآن تماماً.

كانت تريش تجلس مع مضيفتها وهانز يحتسون القهوة على شرفة المنزل عندمارن جرس الهاتف، فترك هانز فنجانه على طاولة صغيرة بينه وبينها وذهب ليرد. عندما عاد أنهى شرب قهوة التى أخذت تبرر ثم قال لها:

ـ هذا وكيلكم إتصل بى.

ـ إتصل بك؟

ولماذا لم يتصل بها كما يجب عليه؟

ـ أجل.. لقد استلم كل المعروضات.. فقلت له أن يحجز لنا على الطائرة للغد.

ـ أنا قلت له؟

وتابع هانز وكأنه لم يسمعها:

ـ إذا أنهينا حسابنا فى الفندقين أولاً.. ثم ذهبنا لإحضار المعروضات لنذهب بها فوراً إلى المطار.. فسنخفف المخاطرة بحملها فى المدينة مرتين.

كبريائها كان تحت الخطر أكثر من المعروضات.. فوكيل مؤسستها هى اتصل به هو... بهانز.. وكأنما هذا هو الوضع الطبيعى. وقبل أن تتمكن من الرد قالت جالا:

ـ كم أتشوق لرؤية المعرض! أتمنى أن لا يكون مكانه بعيد عنا كى نستطيع زيارته خلال جولة شاندو.

– بقد قررت أن أقيمه فى قصرى.. وستقيمان معى لعدة أيام هناك، وهكذا سيكون بإمكانكما رؤيته بكل سهولة.

هو من قرر.. وليس إدى.. وكأنما له الحق الوحيد فى القرار لأى شىء يريده ولأى كان. وهو لا يتوقع أية معارضة على أى قرار يتخذه.. وأحست برباط حديدى يشد على صدرها من الغيظ.

حتى أنه لم يزعج نفسه بالنظر إليها وهو يذيع الخبر. لقد رمى به ـ كأمر واقع، وتركها كى تستوعبه كما تشاء، حتى دون أن يترك لها فرصة القول «نعم أعلم هذا مسبقاً»

ولكنه لم يقل لها شيئاً، عن مشاركتها فى تنظيم المعرض.. فهل نسى؟ أم أن هذا مثال آخر لغطرسته فى الإفتراض أن موافقتها ليست ضرورية؟ وسمع شاندو يقول:

– بإمكانك إستعارة «المينى باص» إذا شئت يا هانز، ثم ترسلها إلينا مع سائق.

ـ شكراً، ولكننى لا أريد أن أحرمكم إياها: بينما كنت أرد على الهـاتف اتصلت بقـائد الهليكوبتـر ليـأتى ويأخذنا... وهذا أسرع من استخدام السيارة.

واستدار إلى تريش:

ـ إذا لم تكونى قد استـخدمت الطوافة من قبل فـهى أسهل من ركوب الطائرة.

ولم تكن تريش ساعتها تهتم لو أنهما عادا على ظهر فيل.. فما كان يزعجها هو الطريقة الفوقية المتكبرة التى أخذ بها هانز زمام ترتيب الأمور. وهى أمور كان يجب أن تترك لها، فهى المسئولة عن المهمة. على الأقل كان عليه أن يكون مؤدباً ليستشيرها أولاً، بدل التصرف وكأنها تابعة له.

وسمعت جالا تتمتم:

ـ من دواعى الأسف أن تضطرى لقطع إجازتك معنا.. فقد خططنا أنا وشاندو لإقامتك معنا مدة أطول.

الأسف؟ وشدت تريش على أسنانها حتى أن فكها

آلمها.. ما يؤسف له أنها وافقت على المجىء أساساً، لتضع نفسها فى وضع حيث لا رأى لها سوى قضاء ساعات برفقة هانز.

متأخرة جداً تمنت لو أنها كانت أكثر حزناً، أكثر إستقلالية، أكثر تحفظاً، ولكن بما أنها لم تفعل فقد انتهز هانز الفرصة واستولى على مسؤلياتها المهنية. إضافة إلى وقتها الشخصى.

وبغضب وإدانة لضعفها، ابتلعت جرعة كبيرة من قهوتها، وجاءت مكافئة عجلتها إن ذهبت الجرعة فى الممر الخاطئ.. فشرقت وكافحت للتنفس، وبسرعة مد هانز يده وضربها على ظهرها ليعيد القهوة إلى مجراها الطبيعى بسرعة مؤلمة. فصاحت بغضب:

- هل كان يجب أن تجعل الضربة بهذه القوة؟

- آسف.

ولكن التواء شفتيه أبرز أنه ليس آسفاً بالمرة، مما زاد فى احتقان غضبها وسخطها ضده. وفتحت فمها لترد عليه بقساوة ولكن شاندو سبقها إلى الكلام:

ـ يجب أن تجعلى من يومك الأخير هنا شيء للذكرى. أن تفعلى شيئاً مميزاً. هل هناك شيء تحبى أن تقومى به تريش؟

هناك عدة أشياء تحبها، ولكن كلها قد تشمل هانز. وقبل أن تجيب.. رد عليه السبب فى غضبها:

ـ تريش قادمة معى لركوب الخيل.

لا يمكنه أن يملى على ما يريد.. لن أتركه... سأقول له أننى لا أعرف ركوب الخيل.. وأننى أكره الجياد.. أى شيء.. ولن أذهب معه. وجاهدت كى تستعيد هدوئها.. فلو أرادت لرفضها أن يكون فعالاً فعليها أن يكون حاسماً.. وبدأت القول:

ـ أنا لست...

وأكمل هانز وكأنها لم تتكلم:

ـ وفى هذا الوقت سيكون الأولادوشاندو وجالا لوحدهم. فقد لا يتمكنوا من البقاء لوحدهم حتى ما بعد رحلة الدراسة.

وكأنه الصقر ينقض على فريسته.. أنقض هانز ينتزع الفرصة وينكر عليها حقها فى الإختيار.

ـ لم أكن أعلم أنك تركبين الخيل يا تريش؟

ـ أركب الخيل كثيراً فى موطنى.

بعد ساعة، كانا يمتطيان جوادين. جميلين من جياد البولو.. استئجرهما من ناد قريب. وسألته:

ـ كيف عرفت بأننى أعرف ركوب الخيل؟

ـ لم يكن الأمر صعباً.

وهل هناك شيء صعب، أو مستحيل، على هذا الرجل المستحيل؟ وهزت مطيتها لتبقى إلى جانبه رافضة أن يسير أمامها لتلحق به، كما لاشك يتوقع، فرمقها نظرة جانبية:

ـ هندما ذهبنا مع الطفلين لرؤية الجياد، تعاملت معها وكأنك تفعلين هذا منذ زمن بعيد. وتجاوبت الجياد معك، كما لا تفعل عادة مع من ليس معتاداً على الجياد.

والتوت شفتا تريش.. إنها بحاجة لمراقبة تصرفاتها فى كل لحظة تمضيها معه. فلا شيء يفلت من دقة

ملاحظته، وهو يستخدم كل ذرة معرفة لصالحه.

صوت الحوافر آتية من مكان ما جعلها ترفع رأسها، وحدد لها هانز الصوت بأنه قادم من ملعب البولو القريب. اقترح الإقتراب للتفرج على اللعبة.

وكالعادة، أحس جوادها بتوتر راكبته، فأخذ يقفز مجفلاً، مما استدعى تركيزها الكامل للسيطرة عليه ومنعه من الإصطدام بالجواد الخالى من الأخطاء الذى يركبه هانز إلى جانبها. توتر الحيوان زاد من ارتباك تريش.. وفى هذه اللحظة قال هانز:

ـ لقد جرى التفاوض معى لإقامة ملعب بولو فى أراضى قصرى.

ـ وهل تلعب البولو؟

ـ بعض الأحيان... ليس لدى الوقت الكثير.. فأنا بعيد دائماً عن موطنى.

ـ مثل الآن كما أعتقد؟

وقبل أن تستطيع منع نفسها قالت:

ـ لم تقل لى أنك طلبت إقامة المعرض فى قصرك.

وللحظة التالية تمنت لو قطعت لسانها قبل أن تتوك له فرصة معرفة أن سريّته أزعاجتها. ولكنها أكملت:

ـ ماذا دفعك لهذا؟

ونظرت إليها هانز نظرة متفحصة طويلة، يعيد النظر فى لهجتها كما فى كلامها. عيناه بدتا وكأنهما تخرقان رأسها وتفكيرها...

وانقلب إحساسها بقربه إلى تلامس حقيقى، بعد أن استغل جوادها اضطرابها المؤقت للإقتراب من الجواد الآخر. فضغطت ساقها بين الجوادين، وعلى الفور استجابت تريش لهذه الحركة بضغطة من ركبتيها.. ولكن ليس قبل أن تحس بالعضلات القاسية تضغط على ربلة ساقها لترسل موجات ألم فيها مما جعلها تزيد ضغط ركبتها على ظهر الجواد.. فابتعد عن رفيقه بينما كانت العينان ذات قطعتى الصوان تقدحان شرراً.

وبعد ما بدا لها سنة من الصمت قال هانز بهدوء:

ـ إدى أدواردز لم يترك لى الخيار.

ـ إدى لم يترك لك الخيار؟ لقد قال لى أنك أنت من اتصل به لتقديم عرضك... دون سابق إنذار كما قال.

ـ ليس تماماً.. لقد قدرت لو أن إدى كان مهملاً لسلامة المعروضات كما هومهمل لسلامة مراسلته، فسيكون خيارى لمكان المعرض أفضل من خياره وأكثر أمناً. فبعض المعروضات ملك بأشخاص أعرفهم جيداً.. فقررت أنه آن الأوان لأن أشارك بتنظيم المعرض بنفسى.

إذن فهو مهتم بسلامة المعروضات وعلاقات مهنته. وليس بها.. وسارعت للدفاع عن رب عملها:

ـ إدى لم يكن يوماً مهملاً. لا بالنسبة لمراسليه ولا للنفائس التى يحملونها. وجمعينا حصلنا على أعلى قدر من التدريب.

وانزلق نظر هانز فوق جسد تريش الصغير بطريقة مهينة:

ـ بالنسبة لى.. إرسال أنثى طولها لا يتجاوز المتر ونصف لمرافقة مجموعة لا تقدر بثمن من المجوهرات، هو

أسوأ من الإهمال. ومن حماقة مجرمة.

أنثى! ولبس فتاة.. ولا إمرأة.. بل أنثى... وهى أطول من المتر ونصف.. وصرّت تريش على أسنانها بغضب:

– أنا قادرة تماماً على...

– يمكن أن يتم اختطافك.. سلبك.. أو أسوأ من هذا.

وأحسست بالراحة لأنه لم يفصّل ما هو الأسوأ. ولكن الإرتياح مات فى حموة الغضب.. فصاحت:

– المراسلون الذكور يواجهون تماماً نفس المخاطر مثل النساء.

وليس الأسوأ، ولكن بالتأكيد الخطرين الآخرين. مع رفضها تكرير كلمة «الأنثى».

– الرجل له قدرة أكبر على العناية بنفسه أكثر من الفتاة.

من بين كل الذكور المتعجرفين الشوفينين...

وقبل أن تتمكن من الرد تابع:

ـ لقد بدا إدى متردداً فى البداية، كما أظن. ولكننى قلت له إذا كان قد حجز مكاناً آخر. فليلغه.. فوافق.. بالطبع.

فقالت ساخرة:

ـ أوه.. بالطبع!

فهى تعرف تماماً سبب تردد رئيسها.. فلديه كرم الأخلاق بما يكفى لاستشارتها أولاً... فعلى الرغم مما يظنه هانز.. فهو لم يقبل عرضه إلا بعد أن علم أن ضميره سيكون مرتاحاً.

وابتدارت فى سرجها لتدافع عن تردد إدى.. مما جعلها لا تلاحظ ما يوجد أمامها على الأرض، وضربت الأفعى بشراسة حوافر الجواد، بجزء بسيط من الثانية قبل أن يصيح هانز راعداً:

ـ تريش.. إحذرى.. إنتبهى!...

وكان متأخراً ذلك الجزء البسيط من الثانية.. فالرأس الشرير انقض من داخل رقعة صغيرة من الأشواك

القاسية تنكو إلى جانب الطريق.. وصهل جوادها رعباً.

وسارعت يد هانز تمسك باللجام، فأخطئت أصابعه الجلد وأطبقت على الهواء بينما رفع الجواد رأسه إلى الوراء متراجعاً بقوائمه قفزاً.

وبرؤية التراجع السريع.. ضربت الأفعى ثانية، وصهل الجواد فزعاً. وانطلق بأقصى سرعته نحو مجموعة أشجار تظلل أرض ملعب البولو من الناحية الأخرى.

غريزة الركوب عندها تحركت لتتسلم الزمام.. أذنا الحيوان كانتا ملقاتان مسطحتان على رأسه، وعيناه تلمعان رعباً، وقد شد على اللجام بقوة بين أسنانه.

ولم تضع تريش الوقت فى محاولة شدة أو لجمه.. فهو أقوى منها.. وتسارعت الأغصان المنخفضة فى الأشجار أمامها لملاقاتها... منتظرة أن تحطمها وترميها عن ظهر الجواد. ونامت على رقبة مطيتها. وأخرجت قدميها من الركاب. وأخذت الرباطات الجلدية تتنطط بقوة تضرب ما فيها من حديد على جوانب الجواد، مما سبب فى زيادة

ذعره.. ولكن هذا أفضل من المخاطرة بأن يجرها وراءه وهي معلقة بالركاب في حال وقعت.

وضرب الريح أذنيها.. وقع ضربات الحوافر وكأنها الإيقاع المحذر من كارثة قادمة.. وتزايد الإيقاع حجماً.. ربما مباراة البولو قد بدأت من جديد.. ثم أصبح هانز إلى جانبها فالإيقاع المرتفع كان آتياً من حوافر جواده.

كان يركب الجواد برشاقة وشجاعة فارس شرقي. ساقاه القويتان تلصقان جسده الطويل إلى ظهر مطيته وكأنه جزء منه. وما أن وصل إلى جانبها حتى مال نحوها.. وحتى في أقصى أحلامها جنوناً استطاعت عيناها أن تعجبا بالقوس الرائع الذي شكله جسده وهو يمد ذراعاه معاً ليمسك بخصرها..

وحاول جوادها الهرب.. ولكن هانز، وببراعة فائقة أدار مطيته بحدة.. مع أي جواد آخر، السقوط محتم.. ولكن الجواد المدرب على البولو والمعتاد على مثل هذه المناورات. تجاوب مع التغيير الفجائي للإتجاه بسرعة.

الحركة هذه أدت المطلوب منها، وكما نوى هانز.. وأجبرت مطية تريش أن تستدير، ثم أخذت المطيتان تسيران جنباً إلى جنب مبتعدين عن الأشجار، ثم إلى الخلاء. تركضان بسرعة متماثلة إلى أعلى قمة في السهل بخطوات محسوبة لإجبار جواد تريش على تخفيف سرعته دون الحاجة إلى كبحه وإيقافه بالقوة.

وكان هذا براعة قصوى في ركوب الخيل، نفذت بإحكام ودقة حركات الباليه، على وقع أنغام الحوافر... وقال لها هانز آمراً:

- أتركيه!

وأطاعته دون تفكير، ودون إيصال الأمر إلى عقلها أولاً. وما أن أفلتت اللجام حتى أحست بنفسها ترتفع عن سرجها، فأغمضت عينيها وهي تطير للحظات فوق لا شيء.. ثم استوى هانز فوق صهوة جواده، وبذراع واحدة ضم جسدها إلى جسده. بينما سعى بيده الأخرى للإمساك بلجام جواده.

وسمعت صوتاً يقول:

ـ كانت هذه مناورة رائعة يا ستانواى.

وفتحت تريش عينيها.. كان الرجال يحيطون بهما.. شبان يحملون المضارب. ويمتطون جياداً تماثل جواديهما. هل هم فريق البولو الذي لم قره؟ وأكد الناطق باسمهم تخمينها:

ـ لقد تخلينا عن المباراة عندما سمعنا الصراخ.. وأتينا لنرى ماذا حدث.

قال آخر معلقاً:

ـ لم يكن بحاجة لنا. هل أنت بخير يا آنسة؟

وتمكنت تريش من هز رأسها.. ورفض صوتها أن يتحرك. فكيف تستطيع أن تقول، عن حق، أنها بخير، بينما ذراع هانز لازالت تضغطها إليه. وخط فكه المستوى النظيف يضغط على شعرها يرسل شرارات كهربائية أخذت تصل إلى جذورها؟ وأخذت دقات قلبها تتسارع.. وعلمت لو أن هانز ينزلها الآن. فلن تستطيع الثبات على

قدميها.. ولم تشأ أن تعترف حتى لنفسها أن ارتجافها مرده جاذبية الرجل الذى يضمها إليه أكثر مما هى بسبب الطارئ الذى مر بها.

وأحاط بهما فريق البولو متفرساً فيها بفضول، فأحست بالحرج، وحاولت أن تحرر نفسها وقد بدأت كبرياؤها تعود إليها وتمتمت بصوت مضطرب:

– أنا.. أنا بخير.. حقاً...

وبدا صوتها مرتجفاً، وغير واثق، ولكنه أقنع الخيالة.. فصاحوا مستحسنين:

– هذه هى الروح الرياضية... لم تعودى الآن فى أى خطر.

لا خطر؟.. وتمنت لو تصرخ فيهم: هانز ستانواى هو أخطر من جواد مجفل... وأضطرت أن تشد على أسنانها بقوة لتمنع الكلمات من الخروج.

قد تكون الأغصان قوية وبإمكانها رميها عن السرج... ولكن قوة ذراعيه وتأثيرهما يهددان برميها بعيداً عن

التفكير السليم.. والعظام المكسورة أفضل لها من القلب المكسور. فتجربة واحدة فى هذا المجال تكفى.. ولن تتكرر. وبتصاعد إحساس بالخوف تماثل مع خوف جوادهما همست لهانز:

ـ إنزلنى!

لابد أنه سمعها لكنه لم يرد. رده الوحيد كان أن شد قبضته على خصرها.. ومع تصاعد غضبها سمعت أحد لاعبى البولو يقول:

ـ يبدو أن جوادك لا يزال خائفاً. وأنا عائد إلى الأسطبل الآن. فإذا رغبت سأقوده لك إلى هناك.

وحاولت بجهد أن تتخلص من ذراع هانز:

ـ بامكانى ركوبه والعودة به.

ـ فى الأمر مخاطرة يا انسة. فبعد جموحه بهذه الطريقة، قد يزعجه أى شىء بسهولة ... ولن يكون أمناً قبل أن يهدأ تماماً.

وصفه الجواد.. ينطبق عليها تماماً. ولكنها دفعت

نفسها للأصرار ولكن هانز قاطعها:

– شكراً لك. سأكون شاكراً جداً لو أخذته معك.. سنعود معاً على نفس الجواد ببطء.. خلف بعضنا.

خلف بعضنا.

وأجفلت قبضته.. كم مثالى منه أن يختار مثل هذه الجملة فإذا فسرتها بحرية، فهى تعنى أن يسير الذى فى الخلف دون وعى خلف ما يختار الذى فى الأمام فعله.

ولكن خططها لمستقبلها لا يشمل السير فى الخلف وراء أى رجل...

كسرات السكر الزهرية

وهج شمس الغروب دام إلى وقت طويل.

واستلقت تريش سئمة فى مقعدها على الشرفة وأخذت ترقب الوهج يحول القمم البعيدة المغطاة بالثلوج من اللون الأحمر القانى إلى البرتقالى.

ثم إلى لون كسرات السكر الزهرية. واستقرت نفسها بردة فعل من أحداث بعد الظهر.. وتلاشى غضبها.

كانت قد استمعت إلى هانز، غير مصدقة، بعيد ما حدث أمام مضيفيهما خلال تناول العشاء ويعطيها تقييماً لم يكن فى حسبانها عندما قال:

ـ لو لم تكن تريش فارسة بارعة لكانت النتيجة سيئة جداً.

وقالت لنفسها ساخرة.. هذا كثير منه.. فآخر شيء كانت تتوقعه أن تتلقى التهنئة منه، وبجهد قاومت إغراء بأن تنحنى له شكراً عبر الطاولة وقالت عوضاً عن ذلك:

– لو لم تقد أنت جوادى بعيداً عن الأشجار لكان حدث كارثة.

فلتعطى الشيطان حقه لما قدمه من خدمات، مثلما أنقذ حياتها. فليس لديها أى وهم بما كانت ستكون عليه النتيجة لو أن غصناً أوقعها إلى الأرض بهذه السرعة. على الأقل، أنقذها هانز من إصابة خطيرة.. وفى الأسوأ... وارتجفت، ثم أضافت:

– لقد أدار هانز الجواد فى الوقت المناسب.

وكانت طريقة غريبة فى إبداء الشكر له... ولو لم يخترع هذه الرحلة أساساً لما حدث كل هذا. وبما أن هذا حدث الآن، وقد أصبحت مدينة له بحياتها، فقد وضعها فقدان الحس تحت منّة كبيرة.. أربكت كبرياءها.

كذلك تركت الفرصة مفتوحة أما هانز ليتوقع منها شيئاً فى المقابل. وكذلك أقفل الباب أمام ما خططته

للاتصال بإدى وطلب إرسال مراسل بديل عنها للمساعدة في تنظيم المعرض في قصر ستانواي.

وقال لها شاندو بعطف:

ـ تبدين مضطربة جداً يا تريش.. ولا عجب، بعد مثل هذه التجربة المريعة. يجب أن تنامي باكراً. كي تستعيدي نشاطك. فأمامك يوم طويل غداً.

وتنبأت تريش في نفسها بأسى، أن اليوم سيكون أطول برفقة هانز. وعزّت نفسها بأنها لن تكون لوحدها في الطائرة.

ووقفت جالا عن كرسيها مستأذنة أن تتم مهمتها الأمومية، في الكشف عن الوالدين في أوائل غفوتهما.. فنهض معها هانز.

ـ سأجي معك لقد أحضرت لكل منهما علبة احجيات.. وسأضعها عند أسفل السرير لكل منهما فيجدانها في الصباح.

فابتسم شاندو:

ـ أنت تدللهما كثيراً.

ورن جرس الهاتف فتابع:

ـ سأرد عليه بنفسى إكملا طريقكمت وستكونى لوحدك لحظات يا تريش.

فهزت رأسها بالإيجاب.

ـ بالطبع. إذهب ورد على الهاتف قبل أن يوقظ الأولاد.

وساد الصمت من حولها بعد أن انفض الجميع إلى ما سيفعلونه.. وتركت تريش نفسها تسترخى. وتمنت أن لا يعود هانز قبل جالا أو شاندو.. فلم تشعر برغبة فى تحمل المزيد من رفقته المنفرد اليوم. ولو عاد لوحده فستدعى التعب وتنسحب إلى غرفتها.

الظلال القاتمة السوداء.. سرقت السكّر الزهرى عن قمم الجبال. ولكن كان لا يزال هناك ما يكفى من نور منعكس فى السماء لتتصور تريش فيه أشباحاً فارغة ترمى ظلها على حديقة البيت.

وتحرك شىء من شجرة عليق قريبة، استرعى انتباها. أفعى أخرى؟ واتسعت عيناها بالفضول والإثارة، وهى تنظر، كسر الصمت أنين رفيع، تبعته صوت جرجرة. ثم شكل صغير شاحب على أربعة قوائم مهتزة، يتحرك بين الأشجار الشائكة.. ودخل تحت واحد منها.. قريباً من تريش لتتمكن من معرفة ما هو سبب الصوت.

وكادت تضحك عالياً.. إنه كيب، الجرو والذى لا بد تكلم عنه الأولاد والذى لعبوا معه بعد الظهر. من الواضح أنه لحق بهم وضاع فى الحديقة.. وركضت تريش إلى الحديقة نازلة السلم وقد نسيت تعبها، ومدت يدها نحو الكلب تناديه «تعال يا صغير! تعال هنا!» وانحنت إلى الأمام لتراه عن قرب.. فى اللحظة التى أمسك بها هانز بين ذراعيه وأبعدها عن الشجيرات وعن الكلب.

دون وعى منها سجل عقلها الباطن خطوته. يركض نحوها بسرعة عبر المرجة الخضراء، ولكن لانشغالها بالحيوان لم تنتبه له.

ثم كان فوقها وكأنه الريح، وذراعاه تحملانها إلى

فوق، ثم إلى المنزل ثانية. فصاحت به بغضب:

ـ هل جننت؟ إنزلني فى الحال.

ولكنه لم يتركها إلا بعد أن وضعها سالمة على الشرفة:

وقدحت عيناه فى الظلام وهو يهزها:

ـ هل أنت مجنونة؟ هل لمست الكلب؟

ـ لم أصل إليـه والفـضل لك تحـملنى وكـأننى كـيس بطاطا!

ـ ولكنك كيس بطاطا جميل.

غزله لها كان القشة القاسمة:

ـ كيف تجرؤ على حملى من الحديقة بهذه الطريقة؟ من تظن نفسك؟

ـ وهل تصدقى إذا قلت لك أننى ملاكك الحارس؟

بل الغول.. هكذا أصح! وتنفست بصعوبة وقالت:

ـ لا.. لن أصدق.

فقال هانز:



ـ لقد آن وقت ذهابك إلى الفراش. لقد سمعت ما قاله شاندو. لدينا رحلة باكرة غداً.

عجرفته لا تطاق! وصاحت به:

ـ وما هو الحق الذى لك لتقول لى أن أذهب إلى الفراش؟ أنا قادرة تماماً للعناية بنفسى، دون مساعدتك.. منذ متى انقلبت إلى مربية أطفال؟

ـ سأفعل إذا أردتى. قولى لى فقط.

وخرج منها صوت تنفس يشبه فحيح الأفعى.. ولمعت أسنان هانز البيضاء من فوقها. شفتيه المنفرجتين كانتا هازلتين، ولكن لسبب ما، ابتسامته فشلت فى الوصول إلى عينيه.

حتى عبر غضبها لاحظت أن قطعتى الصوان لم تلمعا، مما ترك عيناه باردتان مخدرتان. وأحست بالتوتر فى جسده وهو يضمها إليه بطريقة شاذة تماماً عن تصرفه الخشن.

ووضع أصبعين تحت ذقنها ورفع وجهها لتنظر إليه،

رافضاً أن تختبئ وراء الصمت وهمس:

ـ حسناً! هل أفعل..

ـ لا.. أنا.. أنت..

بأى حق يطرح أسئلة صعبة عليها ثم يطالب برد لا تريد أن تعطيه؟ وساعدها غضبها أن تسيطر على لسانها المتلعثم وترد بثبات:

ـ خرجت لأمسك الكلب.. لا بد أنه لحق بالولدين.. وهو ضائع الآن.

الكلب ليس وحده الواقع تحت خطرالضياع... فهى عالقة فى فخ ذراعى هانز، وتخسر بسرعة توازنها، لتهيم فى ظلام من صنعه... إنها بحاجة لأن تعود إلى الطريق الصحيح وبسرعة.. قبل أن تفقد حواسها قدرة النظر إلى حل.

وقال هانز، وبدا صوته غريباً وفظاً:

ـ شاندو يعتنى بالكلب. فاتركى الأمر له.. والمكالمة الهاتفية كان هذا سببها. وأمامك أشياء أفضل لتهتمى

بها.

- مثل ماذا؟

وحال أن تكلمت تمنت لو أنها لم تفعل. فقد أدت كلماتها وظيفة المشعل لإعادة لمعان الصوان إلى عينيه، فاشتعلت ناراً إستمدت حرارتها من جسده. وضمتها يداه، وتمتم صوته:

- قبل أن تشكريني لانقاذى لك بعد ظهر اليوم.

وأطبق بفمه عليها.. يطلب الشكر منها باهتمام. وحاولت تريش بذعر أن تلفت رأسها عنه، أن تتحرر من شفتيه ومن موجات الصدمة والإنفعال التى بدأت تحتك وتتحرك لتطفوا عبر كل كيانها.

وأحست بنفسها غرقى فى طوف.. يحملها دون وعى بعيداً على موجة عارمة من المشاعر التى أبعدتها عن كل تفكير آخر، عن الكلب وشلندو وجالا.. والولدين.. ولم يبق سوى.. هى.. وهانز.

كان يتصرف معها مثل المتوحش.. الحيوان.. الرجل.

والمرأة الساكنة المختبئة داخل تريش، والتى فشل بيتر فى إيقاظها، كورت نفسها وكأنها النمرة النائمة، وهبت لمواجهة الهجوم.

كم هذا مختلف عما آمنت مرة أنه الحب! الفارق هذا جرف معه دفاعاتها. وبتنهيدة صغيرة تجاوبت مع هانز. وأحست بنفسها تتحول إلى مطواعة بين ذراعيه، تستجيب بشوق لم تكن تدرى أنه موجود فيها..

الظلال السوداء أحاطت بعينيها فى الصباح التالى لتظهر أنها قضت ليلة مضطربة.. فقد هجرها النوم حتى ساعات الفجر الأولى، وحتى عندما حل عليها لم يجلب معه الراحة.

ومع كل الحواجز الثابتة بينهما، وجدت نفسها غير قادرة على طرد صورته من على ستارة قلقها.. فكان معها فى الحلم حيث كانت متعلقة بيأس فى لجام جوادها، لا تهرب من الأفعى بل منه، هو من لاحقها فى حلمها، ودائماً يكسب عليها ويناديها دائماً «سأعود!».

استفاقت ترتجف مبللة بالعرق.. مضطربة مثل

جوادها التعس تماماً. رأسها كان يؤلمها، كذلك شفتيها من الخجل لضعفهما وخيانتهما لها بالتجاوب مع هانز.

هانز يماثل الدمار.. بل وأسوأ!

وما أن عاودها الهدوء قليلاً حتى سمعت عقلها الذى لايزال دائخاً صوتاً حاداً وكأنه الإنفجار من مكان قريب. وأصغت لفترة.. ولكن الصوت لم يتكرر.

ربما صوت مدخنة سيارة.. ربما شخص ما يتسلى وأشعل مفرقعة. ووصلت الهليوكوبتر متأخرة. أخرها ضباب كثيف طوق التلال مما جعل من المستحيل على الطواقة أن تحط. وقالت جالا:

ـ هل يعنى هذا أنك ستخسر رحلتك يا هانز؟

وفكرت تريش يائسة يجب أن لا تفوت الرحلة علينا.. سيكون هذا ظلماً.. كلما أسرعت فى الإبتعاد عن جو المنزل المريح، كان ذلك أفضل. فالإسترخاء تسميه مغلوطة. فأعصابها كانت مشدودة وكأنها «رفاص» ساعة وقد شدت حتى منتهاها. تاقت لأن تعود إلى أمان عالمها الطبيعى الصاخب..

وأجاب هانز مضيفته:

ـ سوف تخرق الشمس قريباً كل هذا الضباب، على كل موعد الرحلة هو فى المساء الباكر.. لذا أمامنا ما يكفى من وقت.

وتقبلت تريش كوب القهوة ورفضت طعام الفطار.. واعتذرت لجالا:

ـ الوقت مبكر جداً لتناول الطعام.

وانسحبت إلى غرفتها لتوضب حقيبتها..

كان هدفها أمامها واضحاً ومستقيماً.. لديها هدفان فقط، كلاهما بسيط فى حد ذاته.. ستبتعد عن الرجال.. وتسافر.. بسيط!

لقد امتد طريقها مستقيماً أمامها إلى أن مثل هانز أول منعطف فيه.

ومر بقية اليوم بسهولة أكثر مما تصورت، إلى أن حان موعد سفرهما.. وعندما كان هانز يودع أصدقاءه سمعت شاندو يسأله:

ـ هل سيكون والداك فى المنزل فى وقت المعرض.. يا هانز.

ـ لا أعتقد.. فمنذ تقاعد والدى وهما فى رحلة حول العالم. وقد يكونا عادا وقت زيارتك الثانية، فى الربيع.

ـ أتشوق كثيراً لرؤيتهما.

وأضافت جالا بابتسامة:

ـ وأنا أيضاً.

فأجاب هانز بنفس الإبتسامة الحارة:

ـ وإيفا وأيضاً.

ترى من هى إيفا؟ ومن هى فى حياة هانز؟

وبقيت صامتة خلف هانز والطيار، منغلقة فى عالم خاص بأفكارها.. حياة هانز ليست من شأنى. ولا حياتى من شأنه.. ولكن السؤال ألح على تفكيرها وهى تنظر إلى الخارج إلى حيث لازال الضباب يحيط بحدود الجبال ليجعلها مضطربة مثل أفكارها.

واستفاقت على الطيار يشير إلى معالم المدينة، لقد

وصلا بسرعة.. وأخذت تحدد الأماكن التى زارتها فى المدينة:

- ذلك هو المعبد الذى زرناه وسمعنا أجراسه.. وهنا السوق حيث اشتريت وشاحى...

كانت تريش مرحبة بما يشغلها عن التفكير بأمورها الأخرى.

وكيل مؤسستها قادهما بسيارته إلى فندقها أولاً لأخذ ما تبقى بها من حقائب، ثم إلى فندق هانز للغرض نفسه، وبقى معهما لتناول الغداء.

وتناولوا الطعام بصمت، فما جمعهم أمر خطير، والأخطر بحثه فى مكان عام ومكتظم.

حتى الآن تمكنت من وضع ما تتوقعه من العمل فى قصر ستانواى فى زوايا النسيان. ولكنه الآن تمكن من البروز، يلوح كما تلوح العاصفة عبر الغيوم فى الأفق القريب.. ويرفض أن نتجاهله.

وتساءلت فى نفسها ما إذا كان مخطط إدى سيسمح

لها بأخذ يوم أو يومين لنفسها أولاً. فهى دون شك بحاجة إلى فرصة بعيداً عن هانز لتتمكن من تجميع شجاعتها وجأشها قبل أن تقدم نفسها للعمل فى قصر ستانواى.

وابتسمت لنفسها بسخرية.. تقدم نفسها.. إلى القصر.. فى حضرة الملك.. ملك الانتيكات فى العالم... ماعدا أنها تشعر بأنها ضحية قربان بدل أن تكون متقدمة للبروز إجتماعاً لأول مرة.

وأحست بالقلق يكاد يقصم أعصابها المتوترة، مع اقتراب موعد عودتها، مع حمولتها الثمينة.

ـ إذا كنت جاهزة، فلنذهب!

زميلها قال هذا بصوت مرتفع مما جعلها تتساءل ما إذا كان قد قال هذا أكثر من مرة، وكانت مستغرقة بأفكارها ولم تسمع.

ودفعت أفكارها جانباً وقالت:

ـ مستعدة.

ولكن مستعدة لماذا؟

وتبعت الرجلين إلى السيارة.

القطع الناقصة التى كانوا يتوقعون وصولها، تبين أنها قطع مجوهرات عصرية ولكن فى أفضل تصميم، الأفضل من نوعها تصميماً ومن صنع يدوى.. وحدقت تريش بالكومة البراقة التى وضعت أمامها للتدقيق كما من قبل، على مخمل أسود. وتمتم هانز إلى جانبها:

ـ جمال لتزيين الجمال.

فنظرت إليه بحدة، كانت عيناه مثبتتان على خاتم محدد من مجموعة أربعة، والبريق فيهما ينم عن رغبة فى اقتنائه.. أمن أجل إيفا؟ إنها خواتم نسائية.. ولابد أنه يفكر بإمرأة مميزة، لتستحق مثل هذه الهدية المميزة.

وسألها زميلها:

ـ هل لديك حقيبة خاصة لوضع المعروضات فيها؟

خلال رحلاتها لصالح إدى لم تكن مسؤولة من قبل عن أشياء صغيرة الحجم وثمينة، وكانت كلها من أحجام ذات قيمة، ودائماً توضع فى عهدة السفن أو الطائرات، أو فى

مؤخرة السيارات.. دائماً ترافقها ولكن لم تحملها بيدها أبداً.

ومجمل حجم المعروضات هذه المرة ممكن وضعها فى جيبين كبيرين. وتابع زميلها:

- ستجلب لك حقيبة صغيرة، وسيكون فيها كل الإحتياطات الأمنية.

وهذا يعنى.. سلسلة تنقفل على رسغها، مع جهاز انذار مرتفع الصوت، وربما جهاز إشارة بالدخان من نوع ما، يعمل فور شده بقوة من السلسلة كما قد يفعل أى لص.

ومد الرجل يده إلى حقيبته على الأرض بجانبه، وعلى الفور أوقفه هانز بحدة:

- سيكون آمن لنا أن نفعل هذا على طريقتى.

وأخرج من جيبه رباطاً جلدياً له نهايات دقيقة على شكل أربطة تماثل الرباط الذى يوضع على الجسد. وراقبته تريش بذهول متصاعد وهو يفرده على الطاولة،

ويبدأ بهدوء يضع المجوهرات في جيوب صغيرة مثبتة في الجلد إلى أن لم يبق سوى الخواتم الأربعة على الطاولة.

وعندما تأكد من وجود كل القطع في مكانها بأمان بدأ يلف الرباط حول وسطه تحت قميصه الذي يرتديه فوق البنطلون.. وأدركت تريش أن هذا هو سبب ارتدائه ثياباً بسيطة عادية بدل البذلة.

وشيء آخر سجله ذهنها: لقد جاء هانز معها وهو مستعد لأخذ المجوهرات وحملها على جسده. فيما مضى عندما كان الزبائن يوفرون لها المرافق، كان هذا المرافق يترك لها الخيار فيك يفية حمل البضائع.

ولكن هذا المرافق يقوم بالقرارات بنفسه، ويتوقع منها أن توافق معه. حتى أنه لم يزعج نفسه ليستشيرها، بل جلب معه الرباط الجلدي، متوقعاً أن تكون موافقتها أمر مسلم به... واستدارت نحوه:

- من صميم عملي أنا أن أحمل المجوهرات، وليس من شأنك. أنا من يشملني التأمين. والحقيبة ستكون أكثر أمناً. وستكون مقفلة على رسغي.

ـ وهكذا نعلن لأى فريق مهتم أننا مسافران بأحمال ثمينة.

كلماته وقفت فى وجه الاحتجاجات المتفجرة التى كانت تحضّرها..

فالفقراء المهتمين.. هم لصوص المجوهرات العالميين... الذين لا يوقفهم شىء عن الحصول على ما يريدون. والأحمال الثمينة وصف صحيح. إنها لغة المهنة.. كلمة مختصرة، واصفة، مثيرة للرهبة. وأحست تريش نفسها ترتعد أكثر لكلمات هانز التالية:

ـ بإمكانك ارتداء الخواتم فى أصابعك.

ـ لا يمكن أن تكون جاداً.. بعد كل ما قلته عن إدى وإهماله ولك الآن الجرأة أن تقترح على أن أرتدى الخواتم؟ لابد أنك جننت.. سأكون كمن يستدعى المشاكل لنفسه لو ارتديتها.

ـ أديرى الأحجار إلى داخل راحة يدك واغلقى أصابعك عليها، وهكذا لن يظهر سوى الذهب.. وسأمسك

بيدك فيختفى حتى الذهب.

وارتفعت زوايا شفتيه بابتسامة خفيفة.

- يدك صغيرة جداً وستكون داخل يدى تماماً.

وفتحت فمها لتحتج فارتفع صوته بلهجة سلطوية:

- لن ينتبه أحد لإثنين يمسكان يد بعضهما.. وخاصة أنهما يرتديان ثياب العطلات. الجميع سيعتقد ما هو ظاهر، ولن يهتم بنا أحد.

- أوه.. عظيم!

وصرت على أسنانها فنظر إليها متفحصاً:

- لو إن أحداً من رجال الصحافة كان صدفة فى المطار لدى وصولنا وكان له الإنطباع الخاطىء.. أمر مؤسف.

مؤسف لمن؟ له؟ أم لها؟ أم لإيفا المجهولة؟ ربما بهذا يوجه لها أنذاراً بعدم الظن أنهما بقضائهما عطلة فى الجبال معاً، وبأنه قبلها.. ويقترح الآن أن يمسكا بيد بعضهما..

لا حاجة له لينذرها. فهى تنوى جمع قطع أحجيتها حسب الصورة التى رسمتها هى لنفسها.

ولمست أول خاتم، وارتجفت يدها فتدحرج من بين أصابعها.

فقال هانز:

ـ إسمحى لى.

والتقط الخاتم ورفع يدها اليسرى، ثم توقف، ونظر في وجهها.. وعلمت أنه أحس بارتجافها. فقال بهدوء:

ـ إذا كنت خائفة سأحملها بنفسى.

إنها خائفة، وبشدة، ولكن ليس من حمل المجوهرات، ولا من لصوص المجوهرات الذين قد يسببون لها الأذية الجسدية لو حاولوا سلبها.

ما كانت تخافه هو لمسته الكهربائية لها، وهو يفرق بعناية أصابعها كي يتمكن من دس الخواتم بسهولة.

لقد خافت.. وآه كم خافت!.. النار التي انتشرت فى عروقها. واحترقت من لهيب عينيه وهو يحدق بها بانتظار

ردها.

وأخذت نفساً عميقاً، واحد فقط. فليس هناك وقت لآخر.. وكان كافياً لأن يساعدها لتطلق الكذبة:

ـ لست خائفة!

فهز رأسها وكأنه اكتفى بردها، وأخذ يدس الخواتم واحداً واحداً. ثم أخرجها ثانية، وأعادها، إلى أن اطمئن إلى أن كل خاتم موجود فى الأصبع الملائم.

ثم خرجوا.. وأمسك بيدها، فنظرت تريش بصمت إلى الجمال الذى يزين أصابعها كما لم يحصل لها من قبل، ولن يحصل فيما بعد... وأخذ تفكيرها يعد.. واحد.. إثنان.. ثلاثة.. أربعة.. لأيام أفضل.. لأيام أسوأ.. للغنى.. للقصر.. هكذا هو ريتم مراسم الزواج.. لماذا اختار يدها اليسرى؟

وبسرعة أرسلت تفكيرها ليدور بحثاً عن ريتم آخر.. الغنى.. الفقير.. الشحاذ.. واللص.. هكذا أفضل، ماعدا أن الغنى الذى يواجهها يهددها بأن يكون اللص.. لا أن يسرق المجوهرات.. بل أن يسرق حريتها الأثمن منها.

وأخفضت تريش يدها وأغلقتها بشدة لتخفى الأحجار الكريمة عن الأنظار..

يجب أن لا ينجح في سرقتها.

إيفا.. كائناً من تكون.. يجب أن لا يكون لها منافسة.

رحلة خطيرة

أمسك هانز بيد تريش فى مؤخرة السيارة طوال الطريق إلى المطار.

وكأنهما شخصان عاديان متوادان، وضحكت للفكرة وسرعان ما ماتت الضحكة لتصبح شهقة احتجاج بعد أن أطبقت يده كالفولاذ على يدها، لتغلفها تماماً. وكأنه يربطها بسلسلة إليه.. وحاولت دون جدوى أن تحرر يدها محتجة:

ـ لا حاجة لك لإمساك يدى فى السيارة.. فلا أحد يرانا.. وإذا كنت خائفاً.. سأجلس على يدى لأخفيها عن الأنظار.

ـ سأمسك بك.. وهكذا أعرف أنك بأمان.

إنك بأمان.. وليس الخواتم بأمان.. وهل كان سيهتم بسلامتها لولا الخواتم؟ الرد واضح.. ولكن غريب هذا الدفء الذى بدأ ينتشر من داخلها.. فقالت:

ـ أبواب السيارة مقفلة.

ـ إذا كان تدريبك الأمنى جيداً كما تدعين، فيجب أن تكونى مدركة أن لا أقفال ممكن أن تصمد أمام هجوم مصمم.

إخافة مراسلة أنثى هى طريقة لاظهار قوته. فاستوت تريش فى مقعدها مبتعدة عنه.. لمسافة ليست. بمسافة كبيره. فهو لايزال يمسك بيدها.

الناس، وما يحملون معهم.. من الممكن انتزاعهم من قلب السيارة.. وهذا يحدث، ولكن فى الأفلام. وهذا ليس فيلماً.. أنه عالم حقيقى. العالم العاقل.. حيث يمكن ملاحظة مكان الخطر.. ونادراً ما يحدث..

وجفلت لسماع صوت زميلها الذى كان يقود السيارة:

ـ لقد تحدثت مع دائرة الجمارك هنا وفى بروكسيل..

سيلتقيكم ضابط جمارك في كلا الطرفين.. وسيخرجكما دون ضجة.. وهذا سيخفف المخاطرة.

ـ ومن هما؟

ـ كلا الضابطين سيكونان معروفين منك سيد ستانواى.

لهانز.. وليس لتريش... وبجهد ابتلعت غضبها.

بعد التوتر الشديد الذى لاقته فى الطريق.. جاءت البساطة الكاملة لإجراءات الرحلة تغييراً مفاجئاً لها. ضابط الجمارك النشيط تعامل مع حقائبهما بنعومة وكفاءة، وفى غرفة منفصلة، ثم تجاوز واجباته بالإصرار على أن يتخطيا الرسميات العادية، ورافقهما حتى الطائرة.

هو أيضاً.. كان مدركاً تماماً المخاطرة، لم يرغب فىّ أن تنطبق أية حادثة غير مرغوب فيها على رأسه.

وهو يطمئن عليهما فى مقعدهما ويسلمها إلى عهدة المضيفات، سمعت تريش صوت رجل ينتظر يقول بنفاذ

صبر:

ـ المال يتكلم..

فأجابه آخر بحكمة ظاهرة:

ـ على الأرجح هناك مشكلة من نوع آخر.. يبدو أن الفتاة معتقلة أرأيت كيف يمسك الرجل بها؟

ومعتقلة كانت تشعر بنفسها وهانز يدفعها إلى المقعد الداخلى قرب النافذة ويجلس قربها، ولايزال يمسك بيدها بقوة. ولم يتركها حتى ارتفعت الطائرة، وبعد أن تلمست أصابعه الأحجار الكريمة فى راحة يدها للإطمئنان.

وصولهما إلى مطار بروكسل قابله مراسلان صحافيان مزعجان، كانا ينتظران نجم سينما فى رحلة متأخرة. وقال أحدهما لهانز:

ـ لم نرك منذ فترة سيد ستانواى.

ـ لقد كنت مسافراً.

وأحست تريش بتوتره لاقتراب الرجلين منهما، وشد

بقبضته حول يدها. فهو لا يسلم لأية مخاطرة على الرغم من معرفته للرجلين ولاحظت أنه عاملهما بنفس الطريقة المتغطرسة التى تبدو أنها جزء منه، وهى كذلك تجلب له الخدمات بسرعة حيث يضطر الآخرون للانتظار. وسأله أحدهما وعيناه مركزتان على تريش:

- للعمل أم للمنفعة؟

- بإمكانك القول «قليل من الإثنين».

فتمتمت تريش:

- أكان عليك قول هذا؟

فهذا سيعطيهما الفرصة ليستنتجا ما يشاءان من واقع أن هانز يمسك يدها.. وأحست بالتوتر لنظرة المراسل، وهو يلاحظ كل تفصيلات مظهرها. ويسجل بعض الملاحظات ليستطيع وصفها تماماً.. ربما فى مقالة الشائعات؟

عزائها الوحيد أنهما لا يعرفان اسمها. وتمنت أن لا يلاحظ أحد من أهلها الوصف. وإلا... وتوترت أعصابها

أكثر لما توقعته من سؤالات أمها. ومن ممازحة أخيها إدوارد مذكرا بمراهنته. ومن قول زوجته «لقد قلت لك هذا!». وتساءلت ماذا ستقول إيفا يا ترى لو قرأت الخبر؟

على الأقل لن يكون هناك صورة لهما. فلن يسمح هانز أبداً، أن تنشر صورته فى الجريدة، ولم يكن قد فعل هذا من قبل. وقال المراسل متوسلاً:

ـ كن رياضياً سيد ستانواى.. اسمح لنا بلقطة، لمرة واحدة. فإذا لم يصل الممثل السينمائى، ولم نعد بخبر مهم.. فرئيس التحرير سيأكلنا على الفطار.

ـ واحدة فقط، إذن.

ورفضت أذناها التصديق.. هانز لم.. لا يمكن.. لم يفعل.. وصاحت محتجة «لا!». ورمقته بنظرة ر تلك اللحظة لمعت الكاميرا.

وأخذ هانز سيارته من موقف سيارات قريب. إنها سيارة بورش زرقاء.. قوية مثل صاحبها. وعندما وصلا بعد وقت قصير إلى قاعدتها قال إدى موافقاً:

– إنهـا خطة رائعـة ارتداء الحـزام وفيـه المجـوهرات، كذلك ارتداء الخواتم فى إصبعك.

– إنها فكرة هانز.. وليست فكرتى.

بعـيداً عـمـا كـان قـد ذكره هانز من انتـقـاد سـابق لرئيسها، بدا أن الرجلان على وفاق تام، بينما لاحظت أن إدى قد تعجب من مناداتها لهانز باسمه الأول.

وبسرعة أخرجت الخواتم من أصبعها ووضعتهما على صينيـة أحضرها إدى، وهى ترمى نظرة متفحصة على الخاتم الذى أعجب به هانز والذى تناسب مع أصبعها وكأنه لها.

ومـد هانز يده إلى وسطه وانتـزع الحـزام الجلدى، وأمام ذهولها أعطاها الحزام لتعطيه لإدى قائلاً:

– بقية المعروضات هنا.

لقد تأخر كثيراً فى إنقاذ كبريائها.

ومـا أن مـدت يدها لتأخذ الحزام، حتى تمنت لو أنه تجاوزها وأعطاه لإدى مباشرة.. فقد كان الحزام لايزال

ساخناً من أثر جسده وأطباق أصابعها عليه أرسل موجات من المشاعر بدأت من الدفء الملامس لأصابعها لتحرق وهى تتابع الطريق لتنقلب إلى صدمة كهربائية..

وبسرعة ناولت إدى الحزام.. وقد لاحظت نظرته.. فالتفتت إلى هانز لترى بذهول إنه لاحظ كذلك سرعة رغبتها فى التخلص من الحزام، وإنه قد حزر السبب، الذى بدا أنه القشة القاصمة فى يوم تكدست التوترات دون رحمة فوق بعضها البعض.

وقال إدى معلناً وهو يضع المجوهرات فى خزنته:

ـ ستكون فى أمان هنا للأربع وعشرين ساعة القادمة.

أربع وعشرون ساعة هى كل ما تريش بحاجة له لتمنح نفسها فرصة راحة من وجود هانز. فرصة لاستعادة هدوء أعصابها والفرصة، عندما تصل إلى البيت، كى تخفى أى صحيفة قد تكون نشرت صورتها معه قبل أن تثير التساؤلات فى عائلتها. ومع أن الخبر سوف يتسرب فى المجتمع المغلق الذى يعيشون فيه، ولكن حتى

ذلك الوقت ستكون قد ابتعدت فى مهمة أخرى. وقالت:

ـ أربع وعشرون ساعة ستعطينى وقتاً ممتازاً للذهاب إلى مندلى وإحضار ثيابى وسيارتى.

وتحدث الرجلان معاً فقال إدى:

ـ سوف تحضر لك جوليا كل ما تحتاجين إليه.

وقال الآخر:

ـ لن تحتاجى لسيارتك.

ـ لابد أن يكون لى إطارات إذا كنت سأسافر من بيتى إلى قصر ستانواى، كل يوم.

وهى تحتج، عرفت أن هناك أمر ما يدبر ضدها.. وأكد هانز ظنونها بقوله:

ـ لن تنتقلى من بيتك إلى القصر. بل ستقيمين هناك طوال فترة المعرض.. لقد رتبنا كل شيء.

ودون استشارتها! وتصادم الغضب والسخط للسيطرة وفى وقت كانت تسعى فيه إلى طريقة لتخليص

نفسها من هذه الورطة، عندما سمعت صوتاً مرحاً يسأل عبر الصمت المتوتر:

– هل سمعت أحداً يذكر اسمي؟

وأدخلت جوليا، سكرتيرة إدي، رأسها من الباب، وهز إدى رأسه:

– أجل.. إدخلى للحظة.. تريش ستحتاج إلى إحضار ثياب من بيتها. هل بإمكانك القيام بهذا كالعادة.

وهذا طلب اعتادت جوليا عليه من المراسلين المستعجلين:

– بالطبع.. قولى لى ما تحتاجين إليه.. فإذا ذهبت فوراً فستكون حقيبتك فى القصر تقريباً ساعة تصلى إليه.

واستطاعت تريش أن تجد صوتها وتقول:

– أنا لم.. أنا لا.. أنا..

وصمتت، وألقت على هانز نظرة كان يجب أن تحوله

رماداً، وأمسكت بذراع جوليا وقالت:

– لندخل إلى مكتبك. وسأكتب لك ما سأحتاج هناك.

فأدخلتها جوليا مكتبها وقالت بعد أن أغلقت الباب:

– يبدو أنك بحاجة لما ينعشك أكثر من حاجتك إلى ثياب.

وزفرت تريش نفساً متحشجراً.

– الآن عرفت كيف يشعر من يرغب فى ارتكاب جريمة.

– الأفضل أن تكتبى لائحة ما ستحتاجين إليه.. ماذا يجرى؟

– إنها قصة طويلة.. سأحدثك بها يوماً. هناك شىء أحتاجه أكثر من الثياب وأكثر من أى شىء ينعشنى.. عندما تصلين إلى المنزل حاولى الاتصال بمارتا.

ومارتا هى خادمتهم اليومية، ويمكن الاعتماد عليها فى الأوقات العصيبة. وتابعت تريش متوسلة:

ـ أطلبى منها إخفاء أى جريدة عن العائلة، دعيها تخفى أية جريدة عليها صورتى.. أتفعلين هذا لى؟ لم يؤخر هذا المحتوم ولكن سيبعدهم عنى لفترة. فلدى الكثير لأهتم به بوجود هذا المعرض.

فضحكت جوليا بعد أن شرحت لها السبب:

ـ ولماذا تخفين الجرائد. أمك ستطير فرحاً عندما ترى آخر ابنة غير متزوجة عندها جنباً إلى جنب مع تاجر الأثريات المشهور.

ـ إذا فعلت فستكون الوحيدة.

ـ ولماذا؟ معظم الفتيات لم يقلن أبداً لا لصورهن مع هانز ستانواى. ويجب أن تعترفى إنه جذاب.. إضافة إلى أنه غنى. فليس من المعتاد أن تحصل الفتاة على الأمرين معاً فى صفقة واحدة، إضافة إلى كونه شاب.

ـ أنا لست كمعظم الفتيات.. وأنوى البقاء وحيدة.. لذا لا تحملى بالأفكار المجنونة.

ـ وحيدة.. مستوحدة.. إنه حبيبك الذى لديه أفكار

مجنونة، وليس أنا.

ـ إنه ليس حبيبى.. على الأقل ليس من جهتى.. وإذا كان لديه أفكار مجنونة.. فسوف أقضى عليها بسرعة.

لقد أوحى هانز بهذا كى يربكها، ويتمتع ببسط سلطته عليها وهذا لن يساعدها أبداً فى استعادة ثقتها بنفسها..

وقاد هانز السيارة متجهاً بهما إلى قصره، فى ضواحى مدينة أنتورب إلى الشمال من بروكسل، بصمت تام، وتركت تريش الصمت على حاله. وليس للمرة الأولى تشعر بالغضب فى رفقته. فبوجوده وراء المقود وهى من مقعد المسافرين معه، سوف تكون مضطرة للموافقة على أى شىء يقوم به..

وناور بالسيارة خلال زحمة المساء بسهولة وفعالية، وأخرجها إلى الطريق الدولية. حيث أخذت قوة سيارته تهزأ بالمسافات.. ودون وعى أخذت أعصابها تسترخى. حتى إنها وجدت من السهل عليها أن ترد على هانز عندما خرجت بهما السيارة باتجاه الريف، لسؤاله:

ـ ألا تعرفين هذه المناطق من قبل؟

ـ لقد مررت بها صدفة.

الأراضى الريفية التى كانوا يمرون بها كانت أرضاً محايدة بينما.. فدخلتها شاكرة، مسرورة أن تعطى أعصابها فرصة الراحة. فالغضب من هانز مقلق ولكن لا طائل منه. ولكى تبعد غضبها قالت:

ـ لقد مررت بهذه المناطق فى طريقى إلى مكان آخر على ضفاف نهر «شيلدت». إنها منطقة مشهورة بصناعة النسيج، أليس كذلك؟

ـ هذا هو المشهور عنها، وأنت الآن فى أفضل أوقات السنة لاكتشاف المنطقة. يجب أن تزورى بعض مناطقها الأخرى وأنت هنا. وألوان أشجارها رائعة فى الخريف.

مع قليل من الحظ، سوف تبقى مشغولة فى المعرض كى لا تحصل على أى وقت للتجول، فهى لا ترحب بأن يقوم هانز بدور الدليل..

الفكرة كانت كالإنذار.. وهى تفكر بمعانيها ما لم تكن

مستعدة لما حصل بعدها. فقط أعلنت السيارة العصيان وبدأت تخفف سرعتها.. فتصلبت.. لا يمكن أن يكون هانز سخيفاً لدرجة أن يدعى أن الوقود نفذ من السيارة؟ ونظرت إليه بعداء. ولكنه بقى هادئاً فى مقعده وأشار بيده إلى الأمام:

ـ هذا هو قصر ستانواى.

وأدارت تريش رأسها لتتبع الأتجاه الذى أشار إليه، دون أن تجيب. فللحظات لم تعد قادرة. فالقصر يقع تحتها تماماً... يرتاح وسط سفح تلة. يحيط به غابة كثيفة من أشجار الوزال ترتدى حلتها الخريفية الملونة بالبرتقالى، والأصفر والأحمر. ولمعت مياه النهر وقد أحاطت خصلة منه بالقصر نفسه.

الشمس الغاربة حولت لون الأوراق التى تموت إلى لون النار.. ترتفع من فوق الماء وكأنها المداخن بجنون لترتاح على جدران عتبته، تلوّن أحجارها الأجريّة. *

وتنفست تريش نفساً عميقاً من السرور الخالص..

قصر شتانواى كالجوهرة وسط سوار من ذهب. وملأت الدموع عينيها وهى تستوعب المنظر أمامها لفترة طويلة.. ثم لتقول:

ـ كيف تستطيع تحمل الأبتعاد.. السفر كثيراً... وتترك كل هذا وراءك؟

ونظر إليها الرجل الجالس إلى قربها نظرة طويلة، ولكنها كانت مأخوذه بالمنظر الذى أمامها فلم تلاحظه.. وأخذ وقته فى صياغة رده، وعندما تلفظ به، تلقته بهدوء:

ـ أعتقد لأننى أعرف أنه سيبقى هنا دوماً بانتظار عودتى إليه.

وأدارت تريش رأسها إليه لتلتقى بنظرته، وأشاحت بنظرها عنه بسرعة.. الطاغية العالمى إذن هو إنسان بحاجة إلى قاعدة يعود إليها.. إلى بيت.. وأخذت تدير قطعة الأحجية هذه في ذهنها للحظة، ثم تركتها ترتاح. غير متأكدة فى أى مكان تناسب. فهى تحتاج إلى قطعة أخرى من الأحجية لتكمل شكلها:

- إنه على طراز القرن الرابع عشر أليس كذلك؟

- مع إضافات من حقبات أخرى أضيفت هنا وهناك.. وبعض أجزاءه أعتق من هذا التاريخ. ولحسن الحظ خرج من الحرب العالمية سالماً.. فقد يثور غضب أسلافى لو اقترح أحدهم استخدام الأسمنت مثلاً لإصلاحه.

الأسلاف تعنى أجيالاً من نفس العائلة يتوارثون نفس المنزل ويعيشون فيه، يتزوجون يخلفون، يموتون. وتفحصت تريش الفكرة، واندهشت لأن تجدها تحمل وجهاً فضولياً راق لتفكيرها المحب للحرية. ربما أماكن مثل قصر ستانواى تسبب للمرء مثل هذا الشعور.. على الأقل منزل هانز ليس رمزاً مكلفاً يتطلبه مركز حديثوا الثراء. ووضعت هذه القطعة الجديدة من الأحجية مكانها، وأخذت تتساءل عن والدى هانز، وكأنما قرأ أفكارها فأعطاها قطعة جديدة من الأحجية:

- فى هذه الأيام يعيش والدى فى منزل الأرامل الصغير الملحق بالقصر. فبعد تقاعد أبى أصبح كبيراً عليهما، وبما أننى أحتاج إلى مساحة كبيرة لإقامة

الحفلات لزبائنى، لذا أخذته والترتيب هذا ناجح.

وعلى الرغم من نفسها أرادت معرفة المزيد عن مرافقها، الذى يحافظ على سرية حياته بنجاح، ولكنها كرهت فضولها، مع أن الإغراء كان قوياً، مما دفعها إلى إطلاق سؤال مبدئى:

- من غير المعتاد هذه الأيام رؤية حصن يحيط به خندق مائى لقد جرى تجفيف معظمهم، وطمره.

- الخنادق هى إجراءات أمنية إضافية.. أساسية وفعالة جداً. حتى أعتى اللصوص يتردد فى بلل قدميه.. وعندما يرتفع الجسر الموصل، فلا سبيل آخر لدخول القصر.

الماء حول القصر كان عميقاً ومظلماً.. وسيصيب بالبلل أكثر من قدمى أى متطفل. وأحست تريش بالرعدة التى لا علاقة لها بثيابها الرقيقة.

الجدران الجرداء تقف من الماء.. بسماكة وقساوة الدشم التى يضعها حول حياته الخاصة. وحدقت بارتباك

وهو يوقف السيارة ويسير نحو قائمتين معدنيتين تدعمان الجسر.. وفتح لوحة سيطرة فى القائمة الأقرب.. وضغط على بضع أزرار، مما أوضح لها أن ذلك الحاجز المائى ما هو إلا دعامة لجهاز حديث فعال، إليكترونى أمنى.. حسب ترقيم أليكترونى معين.

وأحست بالارتباك واستعادت رشدها بسرعة مع بعض الإحراج.

ـ كم هذا سخف منى!

وبدأ الجسر المتحرك يهبط فوق الماء، فابتسم هانز وهو يعود للانضمام إليها خلف مقود سيارته.

ـ عادة له نفس التأثير على الناس للمرة الأولى.

هل كان له نفس التأثير على إيفا؟

وارتفع الجسر أوتوماتيكياً وراء السيارة ما أن وصلت إلى الجانب الآخر. ثم أمسكت يد هانز بمرفقها ليقودها من تحت درع حربى أثرى يثير الإعجاب فوق باب عتيق الطراز، ثم إلى قاعة، حيث كانت تار خشب

تحترق بلهيب مرتفع فى موقد حجرى رائع الطراز. على ظهرها وعاء كبير ملئ بزهر الأقحوان الذى يماثل لونه لون الأشجار فى الخارج.

وأسرعت إمرأة متوسطة العمر ذات مظاهر أمومة عبر القاعة للقائهما.

ـ من الجميل أن تعود إلى منزلك سيد هانز.

ـ ومن الجميل أن أعود إلى المنزل بيرتا.

واحتواها هانز بين ذراعيه وقبلها بشوق أعلم تريش أن المرأة، والتى علمت فيما بعد إنها مربية هانز ومدبرة منزله الآن، لم تعد مجرد خادمة، بل عضو فعال من العائلة.

وقالت له مدبرة المنزل:

ـ لقد أدرت التدفئة المركزية، كما طلبت.. وكل غرف النوم دافئة ومريحة.

وساورها الذعر.. يجب أن لا يكرر هانز مزاحه لها أمام مدبرة منزله.. فلو فعل لن تسامحه.. وسوف تتركه

لوحده يتدبر أمره مع المعرض، ومهما قال إذى.

ثم تذكرت..

الجسر المتحرك مقفل، وليس هناك طريق للخروج.. وهى لا تعرف الأرقام السرية لفتحه.

وتقدمت منها بيرتا لتعيدها إلى واقعها:

ـ سآخذك إلى غرفتك الآن يا آنسة. العشاء بعد نصف ساعة. وأظن إنك سترحبين ببعض الراحة بعد رحلتك الطويلة. فالسفر الطويل مرقهق.

إنها متعودة على السف ر، فالأميال لا ترهقها، بقدر ما يرهقها مواجهتها مع هانز. وشرحت تريش لبيرتا سبب عوزها للحقائب.. ثم تساءلت كيف سيتمكن سائق المؤسسة من الدخول؟ عندما سألتها السؤال وأردفت:

ـ هل سيضرب الجرس؟

فضولها تبخر عندما ضحكت بيرتا:

ـ إنك تجعلينه يبدو كأنه ضاحية منعزلة.. منزل ريفى

أو قلعة، كلها تدار بنفس الطريقة.

وفتحت باباً فى الممر العريض وأكملت:

- لقد اخترت لك هذه الغرفة يا آنسة.. ستجدين مكاناً واسعاً لملابسك عندما تصل. هل هناك شيء تحتاجينه الآن؟ سأتركك لتغتسلى، وسأذهب لألقى نظرة على تحضيرات العشاء.

وتوقفت وأكرة الباب فى يدها.

- أوه.. على فكرة.. أرجو أن لا تمانعى.. هناك شيئان باقيان فى الخزانة.. وسأضطر لتركها حيث هى لأن الغرف الباقية ستكون كلها مشغولة بالرجال أو الأزواج خلال فترة المعرض. وسيكون المنزل مليئاً.. فظننت بما أنك سيدة لوحدك.. وحيدة.. مستوحدة..

- بالطبع لن أمانع..

وخلعت معطفها، لتفتح باب الخزانة، فماذا سيكشف من أسرار باترى؟

واتسعت عيناها لرؤية ثوب نسائى طويل أسود رائع

مخرم. تخريمه رقيق، يربط أجزاءه شريط من الساتان وقطع من الحرير الأصلى محاطة فى الأماكن الحساسة، مما جعلها تصيح:

- واو...!

إنه لا يكفى لتدفئة الجسد..

ولكن، إذا كان ذلك الجسد لشابة.. جميلة.. مرغوبة.. وضحكت تريش. لا عجب أم مديرة المنزل لم ترد تركه فى أى غرفة أخرى. فوجوده يثير كل أنواع التعليقات والأسئلة.. والسؤال البديهى أخذ يدور فى عقلها.

من له مثل هذا الثوب الرائع؟ فمن يمتلكه لابد أنه يحب الحياة.. والمرح.. والحب.. ربما حب هانز.

وتلاشت ضحكتها وهى تتذكر بسمته الساحرة. والطريقة التى ترف بها قسمات وجهه عندما يلفظ اسم فتاة.. اسم إيفا..

بداية الحب

أين هم السادة الذين ذكرتهم بيرتا؟

أين هم الأزواج الذين من المفترض أن يحتلوا باقى غرف النوم؟

العشاء كان معداً لإثنين فقط.. وتقدمت تريش إلى غرفة الطعام وأحست برغبة عارمة فى الاستدارة والهرب..

وقبل أن تحصل قدماها على فرصة لتنفيذ رغبتها.. دخل هانز بجسده الفارغ الطول من الشرفة الحجرية المتصلة بالغرفة والتى تطل على الخندق وعلى الحقول المظلمة والغابة وراءها.

ـ هل تحسين بالبرد؟ سأغلق الباب إذن.

وأغلق الباب الزجاجى المزدوج وراءه، وتركت تريش لتخمينه أن يمر. يناسب لها أن يظن بأنها تحس بالبرد، وليس بالتوتر الذى يسبب لها الارتجاف.

وأشارت بيدها إلى الطاولة:

- ظننت أن هناك المزيد من الضيوف.. فقد قالت بيرتا..

- الآخرون لن يأتوا قبل الغد. يوم واحد قبل المعرض، هذا كل ما يحتاجونه للاستقرار.

إذا كان يعتقد أن يوماً واحداً يكفى فلماذا لا يسرى هذا عليها؟ لماذا جرها إلى هنا بادعاء زائف، ليحرمها من راحة هى بأمس الحاجة إليها؟

وجلست على كرسى جذبه لها على الطاولة.. وتصورت الأمسية مع هانز بنوع من التخوف.

وسعى تفكيرها إلى حجة كى تستطيع الانسحاب حتى الغد لتعود مع باقى الضيوف. ولم تجد أى عذر قد يكون مقبولاً ويلقى أذناً صاغية من مضيفها، فأحست بأنها

علقت.. وهكذا وجهت اهتمامها بمضض إلى وجبة الطعام.

وتمتمت مدبرة المنزل من فوق كتفها:

- أنت لا تأكلين ما يكفى لإبقاء عصفور حى، أنت بحاجة إلى أكثر من هذا بعد يوم متعب من السفر.

- سأستعيد شهيتى فى الغد، فأنا تعبة جداً الآن. مع أن الطعام لذيذ.وأملت تريش بهذا العذر أن تتخلص من صحبة هانز لحظة انتهاء العشاء.. فى وجود مدبرة منزله تابع حديثه فى العموميات.. يتحدث بطلاقة عن جاذبية المنطقة المحيطة.

- يجب أن تزورى مدينة «أنتورب» إنها المركز التجارى لبلجيكا وفيها معامل لقطع الإلماس،.. سوف يتمتع الأولاد برؤية ساعة الكاتدرائية الغوتية التى يرتفع برجها ١٢٠ متراً وفى منتصفها تمثال للحداد.

وكان المنظر المضاء بضوء القمر قد جذبهما إلى الخارج بعد العشاء. فسألها هانز:

- هل أنت دافئة كفاية؟

وأجابت تريش:

- سأرتدى سترتى.

القلق لم يعد عذراً. فهو قد تعيش فيها وكأنه المخدر الذى ينزع سلاح دفاعها. ووضعت ذراعيها على حاجز الشرفة وهى تتنهد، وتنظر إلى المياه الساكنة تحتها.

وتقدم هانز ليتكئ قربها.. وركزت انتباهاً على زوج من الإوز سبح حتى وصل تحتهما، ينزلق بانجراف بسيط للماء نحو خميلة كثيفة من القصب، وفرت لهما ملجأ تقضيان الليل فيه.

ولحق هانز بنظرها وقال معلناً:

- الزوج نفسه يقيم معنا سنة بعد سنة. وبعض من فراخه يترك المكان لإقامة بيوت خاصة به فى بحيرات أكبر على طول النهر.. ومع أنها أوزات برية.. فإن هاتين الإثنتين تفضلا البقاء هنا.

برية جداً.. وحرة جداً. ومع ذلك تختار أن تبقى فى نفس المكان دوماً. وتابع هانز كلامه:

- إنهما هنا منذ زمن طويل حتى أنهما أصبحتا جزءاً من المنظر. إنهما دائماً معاً.

- خلف بعضهما؟

وخرجت منها الكلمات بحدة أكثر مما نوت. فنظر إليها هانز دون الإدعاء بأنه لم يفهم قصدها.. وأجابها بصراحة:

إنهما غير مرتبطتان.. ولا قيد يقيدهما لبعضهما. فقط.. الرغبة.

وأبقت تريش عيناها على الطيرين الملكيين.. دون أن تلتفت إلى هانز.. لا ارتباط.. لا قيد.. كل منهما له أجنحته يستطيع الارتفاع بها بعيداً ليكتشف أية زاوية من زوايا الأرض. ومع ذلك فهما مرتبطان برباط غير مرئى.. الأنثى تسبح بكل وداعة وراء الذكر.. قانعة بهذا النظام الأزلى لترتيب الأشياء.

كنوع من الدفاع عن النفس أدارت انتباهها إلى غرض وجودها هنا. وأدارت الحديث إلى اتجاه أسلم:

- فى أى جزء من المنزل ستقيم المعرض؟

- فى القاعة الرئيسية. إنها على طول الجناح.. عادة ابقى هذا الجناح مقسوماً إلى ثلاثة غرف بحواجز منزلقة. وبالإمكان سحبها إلى الجوانب ليعود المكان وكأنه غرفة واحدة ضخمة.

- والأمن؟

- أكثر من اللازم.. فبعيداً عن الفريق الأمنى التابع لإدى، والذين تعريفنهم، ستقدم كل مؤسسة فريقها الأمنى الخاص، وكلهم سيقيم فى القصر. وسيكونوا عيون وآذان العارضين.. والمعروضات التى جلبناها معنا سوف يهتم بها جهاز خاص من نقابة تجار المجوهرات العالمية... أما مسؤولياتى فهى الأمن على كامل القصر نفسه. وهذا مؤمن بوجود النظام الاليكترونى الحالى. وهذا يعنى أننى سأتمكن من إيجاد وقت لزجول بالطفلين فى المنطقة.

وابتسم، فقالت تريش:

- مع كل الناس هنا لرعاية المعرض، لماذا احتجتنى

أنا أيضاً؟

الأمر غير معقول.. لم يعد شىء يبدو معقولاً.. وأجابها هانز:

ـ أحتاج مساعدة فى إبقاء العجلة دائرة بين الزوار.. وقال لى إدى أدواردز أنك معتادة على الاحتلاط مع أشخاص من ثقافات مختلفة.

ـ تلامذة الجامعات فقط.

ـ تلامذة أم راشدون، من الأفضل أن يكون بينهم شخص يستطيع تسهيل الصعوبات عمن يكون بينهم حساساً.

أى مضيفة فى الواقع. وهانز ليس لديه زوجة تقوم بالعمل له... ولوت شفتيها، كم هو مناسب له أن تكون فى متناول يده ليستفيد منها.

سوف تحب المنطقة والقرى والمدينة التاريخية كما قال.. ولطف منه أن يشمل عملها المأجور فى النزهات. وقطع حبل أفكارها:

ـ لن تكونى مضطرة للإهتمام بالأمير.. فسوف يأتى معه بحاشيته.

ـ حاشيته؟

ـ إنه دائماً يسافر مع حراسة خاصة.

ـ الأمر لا يستاهل.

ـ ما هو الذى لا يستاهل؟

ـ أن يكون المرء ثرياً ومشهوراً. فما الفائدة إذا كنت مضطراً لاستئجار حرس ليحميك؟ إنه ثمن مرتفع.. لا بد أن ثراءه قيد عليه.. ولن يشعر بالحرية أبداً.

ـ وهل الحرية تعنى الكثير لك؟

هذا سر يجب أن لا يعرفه هانز أبداً!

مع رجل مثله، يجب أن تبقى دائما على حذر إذا كانت تريد كتم سرها. وأخذت الفكرة تجول فى تفكيرها حتى بعد أن مد هانز يده ليجذبها إلى ذراعيه، ثم أغرقت المشاعر كل تفكير بعد أ بدأ بالحديث فى اللغة التى لا كلمات لها.

ذراعاه أسرتاها.. وشفتاه فتحتا نوافذ على عالم آخر وعلى نوع من الإلتزامات لم تعرفها من قبل. وأحست

باليأس يجتاحها وبدأت تضعف، فجذبت نفسها من قوة حرارته.

ـ سأنظف هذه الطاولة.. هل هناك شيء آخر الليلة سيد هانز؟

بيرتا!

وشهقت تريش.. هل بيرتا صديقة أم عدوة.. سؤال بدر إلى ذهنها وذراعا هانز تسقط إلى جانبه ليتركها، ويترك جسدها ينتفض بينما أجاب و بارتياح:

ـ لا شيء بيرتا.. شكراً لك.

فالتفتت بيرتا بابتسامة:

ـ تصبحين على خير آنسة.. نامي جيداً.

إنه طريق الخلاص التي تحتاجه تريش. وبجهد فائق أعطى طاقة لأطرافها المرتجفة.. لملمت ما تبقى من قدرتها على السيطرة. وقالت:

ـ تصبحان على خير.

وهربت إلى حمى غرفة نومها.

عندما وصلتها وجدت حقائبها عند أسفل السرير... لا أمل إذن فى عودتها مع سائق السيارة الذى جلبها إل هنا.

فارتجفت وارتجفت، ثم انهارت فوق السرير. واستلقت هناك تحد بالسقف...

الصباح أتى بالحركة والناس. أشخاص داروا حولها ولم يعطوها وقتاً للتفكير وهم يحضرون للمعرض.

كل هذا جديد عليها.. فصل من فصول عملها بقى حتى الآن معلقاً أمامها. فالتحضير لمعرض هو النقيض الكامل للتفكير، ورمت نفسها فى المعمعة.

وأقام رجال منصات خشبية.. إنهم فريق إدى.. الذى تعرفوا إلى تريش وحيوها بتحية الصباح بمرح، ومما أبهج روحها وأعطى بقية الفرق فى المعرض انطباعاً زائفاً باهميتها.. مما رفع شأنها فى أذهانهم إلى أنها التالية فى القيادة بعد هانز.

وفكرت بمرارة.. أن العكس أصح.. لتلتفت وترى عارضاً من أصحاب المعروضات يتذمر لديها من موقع

منصته.

ـ إنها فى طرف الغرفة البعيد.. الأبعد عن الباب.

فتنهدت تريش بصمت.. وتمنت أن يساعدها إلهامها.. وأخذت الرجل المتذمر إلى جانب.. وبلهجة متآمرة.. أسرّت له.

ـ لقد وضعتها إنا فى الزاوية.. إنها زاوية مميزة فى الواقع. السيد ستانواى يعمل على أساس نظرية إبقاء الأفضل إلى الآخر. أنت تعرف أن له اهتماماً شخصياً بالبورسلين، وهو يعتقد أن معروضاتك فريدة من نوعها.. الشمس تدخل عبر زجاج النوافذ فى تلك النقطة بالذات.. ونورها الذى سيدخل عبر الزجاج الملون سوف يكون له تأثير ساحر على معروضاتك. الزوار سيمرون بالمعروضات الأخى أولاً.. ثم يأتون إلى معروضاك.. ويلاحظون الفرق.

وبدت لنفسها وكأنها بائعة «أيس كريم» والفكرة كادت تضحكها.. وذهلت لقدرتها على الاختلاق، وذهلت أكثر عندما تقبل الرجل تفسيرها بسرور. وقال:

ـ لم أنظر إلى الأمر من هذه الزاوية.

وهمس صوت فى أذنها بعد ذهاب العارض:

ـ ولا أنا.

فاستدارت تريش لتجد هانز يبتسم ومد يده ليسندها.. وليحولها إلى جزيرة ثابتة وسط بحر من الناس يزداد أصوات حديثهم...

ـ حافظى على مستواك.. أنت تقومي بعمل رائع... والشمس فعلاً تشع عبر تلك النوافذ.. إذا كان هذا سيريحك، فهى تواجه الغرب.

وضحك لها.. منتظراً منها أن تضحك أيضاً. ولكن يبدو وكأن عضلات وجهها تجمدت.. بينما عيناها باردتان لا تحمل أى دفء من وعود أحلامها... وحيدة.. ومستوحدة.

وحده طول غطاء المائدة من الدمقس الأبيض كان يعكس الثل فى داخلها وهى تأخذ مكانها على مائدة العشاء، تشعر بالإمتنان بوجود ما يقارب العشرين

شخصاً عليها. وكم تمنت لو جلست بينهم على جانبى الطاولة بدلاً من الجلوس عند مؤخرتها حيث قادها هانز فى المكان المقابل لموقعه فى المقدمة.

كلما رفعت نظرها نحوه كانت تتصل بعينيه على مستوى واحد وبنظرة شمولية جعل تركيزها يتموج. حتى أنها لم تسمع ما كان جارها لجهة اليمين يقول لها، إلى أن كرر قوله فتمكنت من كسر السحر الذى ينبعث من حجرى الصوان الذين خدرا قوة تفكيرها.. وقالت:

ـ أوه.. آه.. أجل... بالطبع.

فابتسم جارها:

ـ ألا تعنين.. لا؟

ـ صحيح..؟ آسفة فأنا..

ـ لا يجب أن أمازحك.. يبدو عليك الشحوب.. هل أنت بخير آنسة ويلمان؟

شاحبة.. هكذا أحست.. بل بيضاء.. مثلجة.. متجمدة من الداخل. واعتذرت.

– قد كان يماً مرهقاً. ولم أعد من سفرى سوى بالأمس. ولا زلت أشعر بالتعب.

لو استمرت هكذا فستكون مؤهلة لأن تصبح كاتبة قصص خيال. لقد أصبحت بارعة فى الإختلاق. فقد بدا عذرها مقنعاً لزميلها، قد حثها قائلاً بلطف:

– حاولى أن تنامى باكراً.. سيكون غدك أكثر انشغالاً.

وكمعرض للفن، لم يجتذب جموعاً كبيرة كالعادة فى المعارض العادية. ولكن ما أن انتصف الصباح حتى أصبحت باحة القصر مليئة بسيارات: كبيرة. فخمة.. ليموزين.. من أفخم الصناعات، وكلها معها سائق.

ووصل الأمير العربى مع حاشيته فى سيارتين. وتفحصت تريش مجموعة الزوار بالقفاطين وهم يدخلون القاعة باهتمام.. وقال لها هانز:

– الذى فى الوسط هو الأمير.

الرجل كان طويلاً وسيماً يبدو كهيئة الصقر، كما كان مرافقوه. وتقدمت المجموعة، فأمسك هانز بذراع تريش،

وجذبها إلى الأمام:

ـ تعالى وقابليه.

وحاولت التراجع:

ـ أنا!؟

ـ بالطبع أنت.. أنت موجودة هنا لهذا الأمر. أليس كذلك؟

ولم يبدو على وجه الصقر أى تعبير، وحيا الرجلان بعضهما كأصدقاء قدامى.. تماثلان بالسلطة فى عالميهما المنفصلين. ويبعيدان مليون ميل عن عالمها. ثم قال هانز:

ـ وهذه باتريسيا.

ولم يعط أى أيضاح.. ونظرت تريش إلى فوق، إلى الوجه البرونزى لتجد نفسها متوسطة معه بابتسامة فائقة اللطف.

وأذابت البسمة أعصابها، وجعلت الرجل الصحراوى المتحفظ، ثرى البترول، إنساناً ودوداً، وأدركت مصدومة، أن عالم هانز لا يختلف كثيراً عن عالمها.. فكل من فيه

بشر، كل خلف قوقعته.

وردت الإبتسامة، وحيث الأمير.. ولم تدر كيف تبدو، وهى المخلوق الضعيف الصغير بين الرجلين العملاقين.

وقالت معلقة بعدما تابع الوفد تجواله:

ـ إنه رجل لطيف.. أتمنى أن يجد شيئاً يعجبه بين المعروضات.

ـ إنه ليس هنا ليشبع رغبات نفسه.

ـ رغبات من إذن؟

ـ إنه ينوى تأسيس متحف فى عاصمة بلاده.. وهو هنا فى بعثة دبلوماسية.. لذا انتهز الفرصة ليأتى إلى هنا ليرى إذا كان هناك شىء مناسب ليضيفه إلى ما عنده.. وبالطبع ليقابل شاندو..

ـ شاندو؟

ـ يريد الأمير من شاندو أن يقوم برحلة دراسية عن الأمراض فى بلده.. وشكراً لثراءه، له القدرة على بناء أفضل مركز للصحة يمكن للمال أن يبنيه وكذلك عى

توظيف الأفضل فيه. وكذلك سيبنى مدرسة طب لدعم المركز.. وهنا يجى دور شاندو.

ـ يبدو أنك تعرف الكثير عن الأمير.

ـ لقد كنا فى المدرسة معاً هو شاندو وأنا، وأعرف أن رجل مهتم، له شغف فى رعاية أمور شعبه. وبالنسبة له ثراءه هو وسيلة وليس غاية.

كذلك فهو حمل يحمله عن شعبه.. ولحق نظر تريش بالرجل وسط حراسة الشديدى الإنتباه بنظرة تفهم جديدة. ثم أدارت نظرها لبقية المعرض، حيث حياها واحد من حرس المنصات. وقال لها:

ـ نسيت أن أعطيك هذه.. لقد فكرت أنك لن تجدى الوقت للخروج وشراء واحدة.. إنها صورة رائعة لك وللسيد ستانواى.

وأعطاها جريدة لترى على صفحتها الأولى صورة على طولها مع نوان جعلها تشهق:

«تاجر مجوهرات معروف يعود إلى الوطن من آخر

جولاته بحثاً عن الكنوز» مما يلمح إلى إنها هى هذه المرة الكنز.

وصاحت «أوف!» فضحك الحارس، وقال ممازحاً:

ـ يقولون أن الكاميرا لا تكذب.

ـ ولكن هذه كاذبة.

الصورة تظهرها تنظر إليها وكأن كل عوارض الحب تهاجمها. وزاد مرافقها من انزاعاجها بإضافته:

ـ أوه.. لا

ـ لق طلب منى أدوارد أن أذكّرك برهان معك.

وتدخل هانز:

ـ أى رهان؟.. ومن هو أدوارد؟

تســـاؤلات

اختلقت تريش عذراً.. وتهربت.

فكرة واحدة أخذت كل الأهمية فى تفكيرها.. يجب أن تهرب قبل أن يشاهد هانز الصورة. فلن تستطيع تحمل ضحكته عندما يرى تعبيرات وجهها فى تلك الصورة الفظيعة.

لن يهمها أن يراها بعد المعرض، وبعد رحيلها. فهذا سيجلب لها الإحراج. وسمعت الرجلين يتكلمان معاً فقال الحارس:

ـ إدوارد هو... سيدى انتبه! لقد حملت منصتك كثيراً على هذه الجهة.. دعنى..

وصاح بها هانز:

– تريش انتظرى لحظة.. أريد التحدث معك...

وكأنها لم تنتظر لترى ماذا يريد منها.. فسارعت الخطى بين المنصات ساعية لإضاعة نفسها بين الجمع.

ونظرت إلى خلفها.. كان هانز يشق طريقه بثبات بين الزوار. متجها عن قصد نحوها. فأخذت تبحث عن طريقة للهرب. لابد أن حارس المنصة قد شرح الآ من هو دايفد. ولن تبقى لتشرح له عن رهان أخيها السخيف. ولا أن تترك له الفرصة لرؤية الجريدة.

ووفرت لها مجموعة جرار ماء أثرية فى منصة قريبة مخبئاً ممتازاً. وتنهدت بارتياح عندما وقف زائر بوجه هانز، مما اضطره للتخلص عن ملاحقتها. ونظرت من حولها تفتش عن مكان تخفى فيه الصحيفة.. فى أى مكان لا يمكن لهانز أن يراها فيه.

ولفت نظرها سلة مهملات بين المنصات، فتوجهت إليها، ولكن عندما وصلتها، والسبب لم تعرفه، رفضت

أصابعها التخلى عن الصحيفة. والتفتت ثانية لتجد أن هانز قد عاود البحث عنها ويتجه نحوها. ولو شهدها تلقى بالجريدة فقد يدفعه فضوله لالتقاطها.

يجب أن تجد مكان آخر وفكرت بحقيبة ملابسها فى غرفتها.. هناك ستكون فى مأمن... وأقفلت تفكيرها ضد الفكرة الثانية التى مرت به... اعترفى! أنت لا تريدين التخلص من الجريدة.. بل تريدين الإحتفاظ بالصورة.

لم تكن إرادتهاكافية لتجيب هانز خلال الساعات التى تلت. فقوله لها «أريد التحدث إليك على انفراد» انقلب إلى طلن ملح:

ـ تريش.. يجب أن أتحدث إليك.

ولكن عندما حاول الإنفراد بها حاولت جهدها أن يكون شخص ثالث موجود كى لا يخلو بها.

ماذا يريد يا ترى أن يقول لها؟

لاشك أن حارس المنصة قد أخبره عن إدوارد.. وعلى كل هذا ليس من شأنه. ورهان شخص آخر لا يمكن أن

يكون له تلك الأهمية التى تضطره لملاحقتها دون هوادة.

مما لا يترك موضوعاً سوى الصورة فى الجريدة.

هل يظن أنها تعمدت تلك النظرة عندما التقط المصور الصورة لأجل الشهرة؟

هل يظن.. لا قدّر الله!.. إنها كانت تحاول أن توحى علناً بأن تفاهماً ما بينهما، وهو أمر غير موجود؟ وهل يظن أن موقفها من الحرية ما هو إلا غطاء لتخطيط أعمق؟

الأثرياء دائمـاً هدف لمثل هذه الخطط.. وهى تعـرف هذا.

ولكن.. قطعاً.. ليس منها.. أبداً.

ليس هناك أى موضوع بينهما يستدعى اللقاء وجهاً لوجه معها. وليس هناك موضوع نقاش تشعر بأنها لا تميل أبداً للمشاركة فيه أكثر من هذا.

ووصل شاندو فى اليوم التالى مع عائلته. إنه المانع الممتاز للقاء وجهاً لوجه. وقاومت محاولة جالا منع ولديها

عنهـا، واللذان كـانا تواقـان لأخبـار تريش كل شيء عن رحلتهما. وقال أحدهما متفاخراً:

ـ لقد أنهيت جمع أحجيتي قبل أن نسافر.

وقال شقيقه:

ـ وأنا كذلك. ـ تقريباً.

ولكن أحجيتيهات لا زالت مبعثرة، ولا قطعة من قطعها تناسب مكانها منها.. ولكن على الأقل سيبعد الطفلان هانز عنها لفترة.. وبعد أن ذهبا إلى الفراش تلك الليلة، رافق هانز وتريش والديهما في زيارة خاصة للمعرض.

وحاولت جهدها أن تبقى جالا إلى جانبها.. وأعادت سرد الصعوبات التي مرت بها مع أصحاب المنصات، مما أثار، ضحك جالا، التي علقت:

ـ بآنية فخارية كهذه لا عجب أنه لم يبع منها شيئاً.. فأنا نفسي لا أحب الأعمال الحديثة.. صحيح أنها جميلة، من الصعب العيش معها. لاحظت أن معظم الخواتم بيعت من مجموعتكم.

أول خاتم بيع.. كان الخاتم الذى أعجب به هانز.. والذى أعجبت هى به أيضاً. ووجدت أصابعها تلمس مكان الخاتم فى يدها.. وتسائلت: هل اشتراه هنزياترى؟

لأجل إيفا؟

وجمدت يدها.. وأحست بشعورحاد كليل بارد كأصابعها التى فقدت الحس.. لقد اكتشفت.. أنها تتألم للتفكير بالمرأة الأخرى وهى ترتدى الخاتم الذى ارتدته هى أولاً. وهذا شعور غير منطقى بالمرة لإمرأة عاملة فى هذا المجال. ولكنها لم تستطع منعه.

مع كل الإحباط فى نفسها وأفكارها المتشوشة، نفسها رمت تريش نفسها فى رحلة الزيارة للريف المحيط بالقصر ولمدينة «أنتوري» تتظاهر بالمرح كى لا تطيل التفكير.

وأخذهم هانز لرؤية ساعة الكاتدرائية الشهيرة وبرجها المرتفع. ثم أخذهم إلى ضفاف النهر خارج المدينة للغداء. وركض الطفلان بجذل فى الحقول، يراهنان بعضهما من

يصل إلى قمة المرتفع أولاً. بينما تسلق الكبار ورائهما ببطء.

ووصلوا إلى جزء منبسط مميز من المرتفع، ومد الرجلان يديهما للمرأتين لمشاعدتهما.. شاندو لزوجته وهانز لتريش. وحاولت تريش الإبتعاد عنه.

– أستطيع تدبير نفسي!

ولكن يد هانز أطبقت على يدها، ولم تستطع جذبها منه دون إحداث ضجة. أصابعه حول يدها كانت قاسية وغاضبة. مما حذرها أنه لن يتركها إلى أن تسمع منه ما يريد قوله.

وبسرعة الفكرة، مدت يدها بسرعة وربطتها بذراع جالا. فأفشلت بهذا نية هانز فى سحبها بعيداً عن السمع ليتكلم معها. وقالت للجميع:

– فلنشكل خطأ...

ودعت الطفلين للإنضمام إلى الخط ليصبح من ستة أشخاص وأخذت تضحك وتمزح لتخفى خوفها. وصاحت

عندما وصلوا إلى القليل من الطاقة الإضافية لأتمكن من صعود آخر خطواتى.

ونظرت إليها جالا شذراً:

ـ كان يجب أن تأكلى كل غذائك.. لقد تركت الكثير منه.. ألا تحبين الزيتون المكبوس؟

ـ إنها ليست طعامى المفضل..

وقال هانز بلهجة حادة تماثل حدة لفظه لإسمها أول مرة:

ـ ربما تفضل الغداء مع إدوارد.

فاتسعت عينا تريش.. فمهما يكن الذى يزعجه، لا يجب عليه أن يصب غضبه على إدوارد.. فهما لم يلتقيا من قبل. وتصاعد رد حاد إلى فمها.. ولكن جالا كبحته بصول ملبهج:

ـ ما هذا المنظر الجميل؟

وانفتحت مناظر الريف أمامها وكأنها الخريطة، ووقف

الجميع يحدق.. وأخذ الطفلان يطلبان من هانز ز يحدد لهما الأماكن التى تبدو أمامها.

وهذا يعنى أنه مضطر لترك يد تريش كى يشير إلى تلك الأماكن.. ومرت لحظة توتر... وربطت تريش نفسها بقوة مع جالا حتى لا يعاود الإمساك بها عندما استداروا ينزلون عن التلة.

وسألتها جالا بصوت منخفض وهما تسيران وراء الرجلين:

ـ هل أنتما متخاصمان؟

ـ لا.. بالذبع لا.. فنحن لا نعرف بعضنا جيداً كى نتخاصم.

ذلاقة لسانها أخفت الألم فى نفسها، ولكن لابد أن شيئاً منه قد بدى لأن جالا نظرت إليها بارتياب وتمتمت شيئاً بدى لتريش وكأنها تقول «يا للأسف!».

وركض الولدان نحوها ليسألاها إسم مجموعة من الأزهار الذهبية اللامعة تنمو بيبن العشب.

- تريش ما إسم هذه.

- عليق برى.

ثم وبشكل آلى أخذ عقلها يفكر لماذا اعتبرت جالا الأمر مؤسف: لأنها لم تتخاصم مع هانز؟

لو أن المرأة الأكبر منها سناً تعرف الصراع الذى على وشك الإنفجار بينها وبين هانز لحظة أن يختليا ببعض.. ومع أن شمس الخريف كانت ساطعة إلاأن تريش أحست بالإرتجاف لتوقعها تلك العاصفة.

نظرة هانز الغاضبة تقول لها بصراحة أنها لو استمرت فى تحاشيه لفترة أطول فسوف يطرح المسألة، ولتكن على مسؤليتها. وأصبحت أعصابها على حافة التوتر والمجموعة الصغيرة تقرر الخروج للإنضمام إلى فريق القرية للكريكت فى اليوم التالى.

محاولات هانز للسير إلى جانبها.. وسحبها يعبداً عن السمع، أطاح بها الطفلان المطاليان بمعرفة تاريخ فريق الكريكيت فى القرية، وعندما وصلوا أخيراً إلى الملعب..

أطلقت تريش صلاة صامتة.. استجاب لها كابتن الفريق بدعـوة هانز وشـاندو للعب مع الفريق. وابتسم للطفلين الحاسدين:

ـ سيأتى دوركما.. راقبانا من مقاعد النظارة وتعلما من أخطائنا فى اللعب.

هل يعنى بهذا أن تتعلم هى من أخطائها؟ منذأن بدأت رحلتهـا إلى أندونيسيا على أمل أن تجد كفايتها فى الترحال، كل شىء أخذ يسير بطريقة خاطئة. ليترك عقلها يتعذب ويضيع كل اتجاهه المتعقل.

وشـغلت نفسـهـا بتتبع هانز وشـاندو بين اللاعـبين بالقمصان البيضاء. وانضمت للحماس والتصفيق عندما مرر هانز ببراعة كرة سريعة.. يخرج اللاعب الآخر خارج اللعبة.

ـ أوه.. أحسنت!

فقالت جالا مداعبة:

ـ أعتقد أنك ستصبحين متحمسة للعبة أيضاً.

فتمنت تريش أن لا يفضحها احمرار وجهها.

ـ الأمرمثير للإهتمام أكثر عندما تعرفين بعض قواعد اللعبة لقد دربني الطفلان بشكل رائع.

ولكن اهتمامها كان مرده معرفتها أحد اللاعبين. وحاولت تريش عبثاً أن لا تكترث.. ولكن راحتا يديها احمرتا من أثر التصفيق، وأصبحت تحس بمظرة جالا المتسلية، فوضعت يديها تحتها على المقعد الخشبي.. كي لاتنفرد مرة أخرى بالتصفيق.

ماذا دهاني بحق ا&؟ استمريت هكذا فسوف ألعب الكريكت بنفسي!

مشاهد صغير أراد اللعب أيضاً... فانطلقت صيحة آمر مستعجلة.. «عد إلى هنا!.. تعال في الحال!»

وتظاهر الكلب الصغير أنه أطرش.. فالكرة شيء يفهم هو فيه، أيضاً... وأسرع يركض إلى الملعب مصمماً على الإنضمام للعب..

وشارك صاحب الكلب بالضحك وقال:

ـ أنها لعبة كرة مثالية فى القرية..

وتوقفت اللعبة بينما جرى ملاحقة الكلب الصغير وإعادته إلى مقاعد النظارة. فأكمل صاحبه:

ـ آخر مرة دخلت أوزة مع عائلتها إلى الملعب.. ويجب أن أقول أن الكلب كان أهون من عشيرة الأوز.. فقد عذبتنا الفراخ كثيراً لنلحق بها.

وقالت تريش مداعبة للكلب:

ـ أنت كلب ردئ.

والتفتت إلى جالا لتسألها إذا كانت قد وجدت ذلك الكلب:

ـ هل استعاد أصدقاءك كلبهم منزل الجبل؟

ـ أى كلب؟

ـ الذى كان بين شجيرات العليق. تلك الليلة التى كنا معكم فيها أنا وهانز. لقد قال الولدان أنهما لعبا معه.

ـ لم يكن ما لعبا به كلباً حقيقياً.. بل مجرد لعبة.

ـ ولكنهما قالا أنه كان يعوى.

ـ أجل.. وهذا ما جعل والدا صديقهما يجنان.. فهو لعبة آلية تتكلم وتتحرك فى نفس الوقت. والدته كانت تتمنى لو أنها لم تشترى اللعبة له.

ـ ظننتهما يعنيان كلباً حقيقياً.

ـ لا.. مع أنهما يحبان تربية جرو. ولكن شاندو لا يريد سماع مثل هذا الكلام. فخطر الإصابة بالسعار كبير فى بلادنا.. ربما لو عشنا فى الخارج...

ـ السعار؟ لقد قال هانز أن جاركم اتصل بخصوص كلب.

ـ صحيح.. لقد اتصل ليخبرنا أن هناك كلباً مسعوراً فى المنطقة. تظهر عليه علامات السعار.. واكتشفناه فيما بعد، حيث أطلق عليه الحارس الرصاص فى شجرة العليق وخلصه من عذابه.

إذن هذا هو التفسير الحقيقى للإنفجار الذى سمعته. ولم يكن السبب الألعاب النارية.. وفجأة رأت الصورة

بوضوح للمرة الأولى.. وتلاشى كل التشوش.

رأت إمامها الطريق الذى ترغب حقاً فى أن تسافر فيه، بعد أن فات الوقت بالنسبة لها أن تتبع معالمه. واستقر ألم عميق فى ضواحى قلبها.. وكبر إلى أن أصبح لا يطاق بعدما قالت جالا:

– لهذا السبب ركض هانز وحملك إلى الداخل.. لقد سمع الكلب يعوى، وخمّن ما به.. فقد واجه كلاباً مسعوره من قبل. وعندما عدنا إلى الشرفة، بعد أن تفحصت نوم الولدين. ورآك هانز فى الحديقة متجهة نحو العلّيق، لم أشاهده من قبل خائفاً هكذا.

الخوف الذى تملك تريش لا يماثل أبداً الخوف الذى تملك هانز، إذن. وقالت بصوت خفيف:

– لم يقل لى أن الكلب مسعهور!

– لم يكن واثقاً. لقد شك فقط.. لم نتأكد إلا فيما بعد.

وأحست تريش بالذعر. بعيداً عن رغبتها فى تجنبه.. أرادت الآن أن تتحدث إليه بشكل لم تستطع إنكاره.

ولم تعد فيما بعد تستطيع تذكر كيف استطاعت تمضية الساعات القليلة التى تلت.. ساعات طويلة لا تنتهى، تحدثت فيها مع زوجات اللاعبين صديقاتهم، تبدى إهتماماً بلعبة يبدو أنها ستهتم بها إلى الأبد. تدعى أن كل شيء على ما يرام بينما فى داخلها يغلى العذاب.

وأخيرا أخذ اللاعبون طريقهم كى يتناولا السندويشات والكعك وفناجين الشاى فى الجناح الصغير، وبدا العذاب أكثر عندما بدأ الأعضاء يتحدثون عن خبايا اللعبة واستغرق الولدان بالاستماع إليهم وكأنهما يتابعان صلاة.

وأخيراً انتهى الأمر. وأحست تريش بالسقام والإرتجاف وهى تنضم إلى الواع الجماعى.. وتساءلت كيف يمكن لمرء أن يتظاهر بأنه طبيعى بينما من الداخل يحس أنه يموت.

كانت صامتة وهى تسير إلى جانب هانز عندما سر جميعهم عبر الغابة عائدين إلى القصر. وضاق طريق المشاة، والتفت الطريق حول مجموعة من الأشجار

الضخمة.. جذوعها الضخمة العتيقة أخفت اندو وعائلته عن نظرها وهم يسيرون فى المقدمة.

الآن هى فرصتها!

ووقفت تريش حيث هى.. واتدارت لتواجه هانز.. ومدت كلتا يديها لتمسك بذراعيه، وتوقفه أيضاً. وأصبحت عيناها بركتان مشتعلتان فى وجه أبيض شاحب.

ـ هانز انتظر لحظة. أرجوك. يجب أن أتحدث إليك.

وأحست بدهشة.. ولم تهتم بما قد يفكر، بل يجب أن تعرف بماذا يشعر. كيف كان وكيف سيكون.. مهما طال بها الزمن كى تتأكد.

الشمس الغاربة أطال ظل هانز فوق الأوراق الذهبية مما ترك أصبعاً طويلاً كالسهم يشير باتجاه الممر... يدل إلى أين؟ إلى ماذا؟

وأغمضت تريش عينيها وقد أخذ منها التوتر بعد المعرفة مأخذه. جلباً معه صورة الكلب المسعور وهو يهجم

على ساقية وهو يحملها إلى فوق، بعيداً عن الخطر.

لقد خاطر بنفسه، تعرض لمرض خطير، ولم يفكر بالموت، في سبيل صونها سالمة.

أن يحبها هكذا...

عليها أن تعرف.. وخرجت الكلمات متعثرة من شفتيها نحوك... فهل عضك؟ خربشك؟ لمسك؟

ـ الكلب المسعور.. تلك الليلة... لقد قفز.

نفس الأسئلة التي طرحها عليها. وبدت يومها أنها لم تفهمها. وتوقفت الكلمات عبر شفتيها المرتجفتين.. لقد سمعت في مكان ما، أن السُعار يأخذ وقتاً طويلاً ليتطور.. هل يشير السهم إلى ذلك الإتجاه؟

ـ هانز.. أرجوك.. أخبرني..،

ـ تريش.. حبيبتي.

وليرد عليها، احتواها بين ذراعيه، وزادت الصدمة من عذابها وتهددت مشاعر تريش بالإنهير.. وبجهد تعلقت

بالوعى. تريد من هانز أن يرد عليها. تتخوف من نوعية إجابته.

ـ أرجوك هانز.. يجب أن أعرف.

ـ لقد أخطأنى الكلب بمسافة طويلة.. لقد كان أضعف من أن يستطيع الوصول إلى.

ـ هل أنت واثق؟ أنت لا تقول لى هذا لمجرد..

وهز رأسه بلطف:

ـ تريش.. توقفى عن تعذيب نفسك. أقول لك الحقيقة الصادقة. لم يلمسنى الكلب. أتظنين أننى قد أطلب منك الزواج لو أن هناك أدنى خطر بتطور السُعار لدى؟

ـ أتز.. أتزوجك؟

وعادت القوة إلى أطرا ترش المرتخية.. ولكن الشك لا يزال يظهر على وجهها:

ـ ولكن.. ماذا عن إيفا؟

ـ ماذا إداورد؟

ـ إداورد شقيقى.

ـ وإيڤا شقيقتى.

وزال سوء التفاهم، واجتاحتها موجه ضحك.. ضحك ارتياح.. ضحك شفاء، ممتزج بالدموع، وتعانقا إلى أن مرت العاصفة، وعندما استعادت تريش رباطة جأشها لتتمكن من الكلام شهقت قائلة.

ـ ظننت أن حارس المنصة شرح لك أمر أدوارد.. لقد سمعته يقول...

ـ لم تتح له الفرصة لينهى كلامه. فقد بدأت المنصة تنهار، وكان عليه أن ينقذها بسرعة.. وتركنى أتعذب دون أن أعرف الحقيقة.. ولكننى ظننتك عرفت بأمر إيڤا.. لقد قالت بيزتا أنه كان عليها ترك بعض ثيابها فى خزانتك.

ـ لقد قالت لى أشياء لم تفسرها..

ـ لقد جننت من غيرتى من إدوارد.. هل تسامحينى؟ لقد جعل هذا أخلاقى سيئة، وكنت متوحشاً تجاهك.

ـ وأنا كذلك جننت من غيرتي من إيفا.

الغفران كان لذيذ بشكل لا يصدق.. أن يعطى المرء ثم يتلقى.. ومضت فترة قبل أن تتحرر شفتيها لتقول:

ـ لقد ظننتك غاضباً منى بسبب الصورة فى الجريدة. وأنك ظننتنى تعمدت إيقاعك أمام الكاميرا..

وصمتت وقد تغير لونها؛ فقالت:

ـ الأمـــر عكسى.. لقـد ظننت أنك لو رأيت الصـــورة لأدركت كم نحن مناسبان لبعضنا.

ـ صحيح؟

ـ أيتها المجنونة الصغيرة! كم كنا غبيان، لنضع كل ذلك الوقت الثمين.

قبلاته عوضت عن إضاعة الوقت، ودفنت تريش وجهها فى صدره.. مما دفعه للإعتراف بصوت مخنوق:

ـ لابد أننى أحببتك منذ البداية دون أن أدرى. أحببتك من اللحظة الأولى التى وقع فيها نظرى عليك، فى ردهة الفندق.

ـ لقد كنت أحس بالحر والرطوبة والتوتر:

ـ لم تكن هناك إمرأة فى الدرهة تستاهل أن تشعل لك شمعة. وبعد أن تركتنى، ذهبت رأساً إلى جالا كى أحثها على دعوتنا إلى العشاء، كى تعرف ما إذا كنت مخطوبة.

ـ صحيح.. لقد سألتنى جالا.

ـ وقلت لها أنك لا تنوى الزواج أبداً. ولم أكن أدرى كيف أن تغيرين رأيك.

ـ وأنت لم تضع وقتك.. فقد توليت زمام كل شىء، وظيفتى وحياتى ولم يعد لتصرفاته المتعالية تلك القوة على إزعاجها.

ـ لقد شعرت بالخوف عندما عرفت أنك ستحملين الجواهر بنفسك.

ـ أعرف كل المخاطر يا هانز. لقد تدربت على التعامل بها. ووالدى ليس مهملاً لمراسيله، كما كنت تعتقد.

فى وسط سعادتها أحست بالحاجة للدفاع عن رئيسها، فقال:

ـ أعلم هذا.. أعلمـه منذ وقت طويل. ولو كـانت أية إمـرأة أخـرى لما اهتـممت بالمسـألة.. ولكن الحب جـعلنى جبـاناً، لأجلك. ويجب أن تعترفى.. لقد كان عذراً جيداً لإقناع جـالا بدعوتك إلى الجبل. حيث أكون متـأكد من انضمامى لك فيما بعد..

وتأوه لذكرى فراقهما المؤقت.

ـ أنت شيطان.. محتال..

ـ صـحيح ولكن الأمـر نجح. سـيصل والدى ووالدتى قريبـاً وكذلك إيفا.. وأنا متـشوق للقـائهم مـعك. سـوف يحبونك.. سيجرى حفلة تعميد قريباً فى كنيسة القرية.. وسوف تقابلين كل عائلتى عندها، كلهم دفعة واحدة، بمن فيهم ابن شقيقتى المحتفى به.

ـ أتمنى أن يعجبهم اختيارك يا هانز.

ـ وكذلك أتمنى أن أعجب أهلك.

ـ سيحبونك.. والدتى ستوافق فوراً.. لقد كانت تحاول أن تغير رأيى بالزواج منذ أجيال. إنها مثل جالا. تظن

كل النساء مخلوقات للزواج.

ـ بل فتيات للزواج.

وبينما شفتيه تختم على الرباط بينهما، وتستجيب تريش إلى الختم بنعومة وطلاقة لغة جديدة ليس لها كلمات، فلا كلمات ضرورية ما بينهما.

توقف ليسألها:

ـ متى ستتزوجينى تريش؟ فليكن هذا فى وقت قريب.

ـ نحن لسنا مخطوبان بعد.

لم تستطع مقاومة الرغبة فى ممازحته..

وفتش فى جيوبه وهو يصيح:

ـ لقد اشتريت الخاتم.. وأعلم أنه يناسبك.. فقد جربته على أصبعك فى المصرف. لأتأكل.. لقد قلت إنك أحببت هذا؟

وسألتها عيناه بفضول فأجابت:

ـ أوه أجل.. لقد أحببته.. أنه الخاتم الذى أحببناه معاً.

ـ لقد حملته فى جيبى منذ أيام وحاولت أن أحصل عليك على انفراد. وكانت هى.. تتجنبه... تتجنب السعادة التى كان يمكن أن تكون لها منذ أيام عدة..

ولكن هذا أصبح الآن وراءها.. وراءهما معاً..

والمستقبل يمتد أمامهما.. ذهبى بلون البساط الذهبى من أوراق الشجر المتساقطة التى يقفان عليها.

ورفع هانز يدها ليضغط شفتيه على رمز حبه.. فقالت تريش بصوت ناعم:

ـ إنه جميل يا هانز.

ـ لا يمكن أن يقارب جماله بجمالك.. ولا شيء يمكن أن يقارن بك.

وضمها إليه، ومرت لحظات طويلة ثمينة.. دون إحساس بالوقت.. وهذا ما جعل الولدان يركضان عائدان إليهما، ويتسللان وراء الأشجار الضخمة.

وأمسكت جالا بهما مبتسمة وأبعدتهما بسرعة. وكلّهما عجب عما أخرجهما طويلاً.

وأخيراً رفع هانز رأسه متذكراً:

ـ لم تقولى لى عن رهان إدوارد.

فضحكت.. وأخبرته.. وأضافت:

ـ لا.. هو لم يربح.. بل أنا من ربح.

وأخفض شفتيه ليطالب بالجائزة.

